الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة مولاي الطاهر – سعيدة –

كلية الآداب و اللغات و الفنون قسم اللغة و الأدب العربي

الإعجاز القرآني و الدراسات النقدية التراثية

(الخطابي أنموذجاً)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في النقد الأدبي عند العرب

إعداد الطالبة: تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

سويح شهرزاد عبو عبد القادر

لجنة المناقشة:

السنة الجامعية:

2015–2016م/ 1435–1436هـ

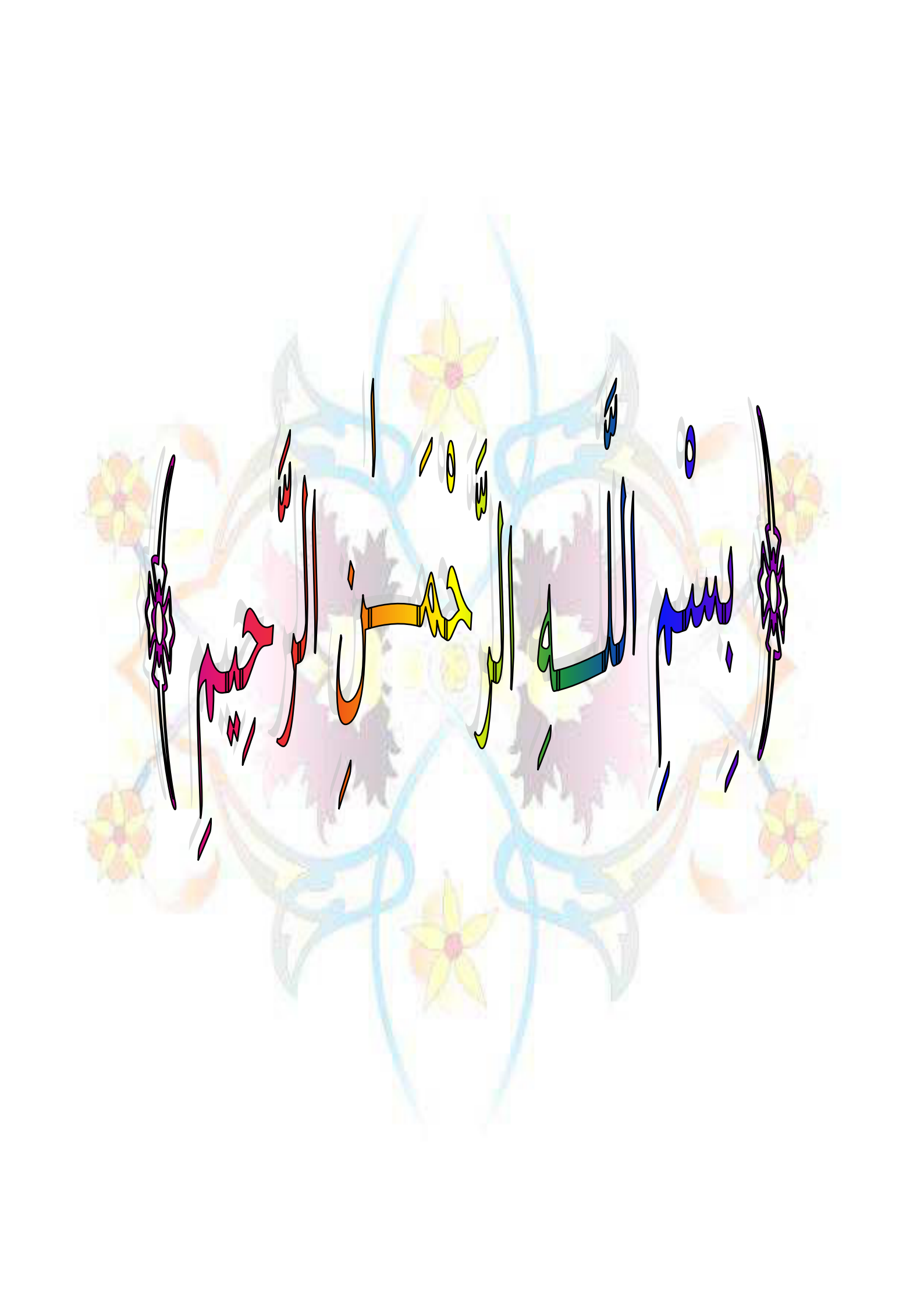
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين:

الشكر الخالص لله " عز و جل " و هو أحق بالشكر الذي أعانني بتوفيق منه على إنجاز هذا البحث.

إلـــــــــــــــــــــى:

كل من ساهم في مساعدتي على إخراج هذا البحث إلى الوجود:

و يأتي في طليعة هؤلاء أستاذي الفاضل " عبو عبد القادر " الذي سار معي خطوة بخطوة في هذا البحث و أمدني بنصائح قيمة و معلومات مفيدة في مواصلة هذا العمل.

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد.

شهرزاد

مقدمة

منذ بدء الحياة الإسلامية، أخذ القرآن مكان الصدارة لكونه الكتاب المبين المعجز، هذا و إلى كونه وحي السماء و أساس التشريع و القانون المنظم للسلوك، و المرشد الموجه إلى معاني الأمور.

فظل النص القرآني قطب الرحى في معترك المقولات الفكرية و الحضارية في تاريخ الإسلام، و شكلت قضية الإعجاز أهم القضايا التي جابهت الإسلام و المسلمين، ذلك أن المغرضين تسربوا منها يبغون المساس بقدسية الوحي، و تحطيم حضوره في آخر رسالات السماء في الأرض. في هذا المضمار اندفع علماء الإسلام من لغويين و نحاه، و مفسرين و متكلمين و بلاغيين يدافعون عن القرآن،

و يتعمقون أسرار دينهم بتعمقهم في مناحي القول الإلاهي في النص، و بتسلحهم بالأداة الضرورية لرد كل ادعاء فكان من ذلك جهود دفعت مطاعن الملحدين، و فتقت أسرار البيان القرآني، و انتهت بعلم مستقل في القرن الرابع هو " علم إعجاز القرآن ".

و من هنا اتسمت هذه الدراسة بخصوصية جعلها تشغل حيزا كبيرا في المجال النقدي نظرا للهدف الذي تسعى تلك الدراسة لتحقيقه و هي إثبات مصدر القرآن الرباني، و أنه كلام الله سبحانه و تعالى، و ليس كلام محمد " صلى الله عليه و سلم " و الإقرار بنبوة محمد " صلى الله عليه و سلم ".

و اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن جزافا، بل يعود لعدة أسباب دفعتني إلى دراسة جانب من تراثنا اللغوي و النقدي و هي:

أولا:

لمكانة هذا الموضوع و أهمية أثره، لأنه يتعلق بالمصدر الرباني الأول، فهو بحث قرآني.

ثانيا:

الوقوف على مساهمة الإعجاز البياني في إثراء التجربة النقدية العربية التي رافقت قراءة النص القرآني.

ثالثا:

التعرف إلى الذوق الفني لأولئك الإعجازيين و آرائهم النقدية.

رابعا:

المادة النقدية المتوافرة في الدراسات الإعجازية، إذ واكبت الدراسات التجربة النقدية العربية فأمدتها بمادة وفيرة غنية، بل إن الإعجازيين هم أهم حلقة من حلقات النقد العربي القديم.

خامسا:

مساهمة منا مع من كانوا سباقين في إعطاء هذا الحيز من الدراسة حقه من البحث و التقصي و إن لم يكن على قدر المستوى.

لكن بالرغم من هذه الحوافز التي شجعتنا على العمل عليه، واجهتنا صعوبات شتى كانت بمثابة عقبة تقف أمام إنجازنا لهذا البحث، و التي كانت من بينها وجود زخم كبير من المعلومات و المفاهيم

و القضايا التي تضع الباحث أمام حيرة منهجية، من أين يبدأ؟ و كيف؟ كما أن موضوع الإعجاز يحتاج إلى كثير من الجهد و التعب لكثرة مضامينه و تعدادها، ثم إن هؤلاء الإعجازيين باعا طويلا في الدرس العربي، و تكاد أسماؤهم تتكرر في أغلب حقول الدرس العربي، و قد ضمنوا دراستهم هذه كثيرا من معارفهم التي يصعب على الإنسان استخراج الأراء النقدية منها و التعليق عليها.

لكن بالرغم من ذلك فضلنا خوض التجربة إذ لا وجود لبحث علمي أكاديمي إلا و واجهته عوائق

و صعوبات، و تكتنفه نقائص أثناء رحلته الاستكشافية.

و نظرا لأهمية الموضوع كان لا بد أن نثير بعض التساؤلات التي من شأنها فك شفرات بعض المسائل و التي من بينها:

1. إلى أي مساهمة الدراسات القرآنية في إثراء البحث النقد الأدبي و اللغوي؟
2. ما أثر الدراسات القرآنية في نمو الدراسات البيانية و تنوعها؟

ماذا في القرآن من أوجه البلاغة التي فاق بها سائر البلاغات أو ما مظاهر إعجازه البياني؟ و ما المعنى الذي يتميز به لفظه عن سائر أنواع الكلام؟

على ضوء هذه التساؤلات المتعلقة بأحد أهم القضايا النقدية ذات الأبعاد الدينية، و في رحاب هذا الاهتمام المنسجم مع كل ما سبق لنا طرحه يندرج موضوع البحث، الذي يفرض علينا – نظرا لطبيعته – منهجا وصفيا تاريخيا، و تحليليا من جهة أخرى، تأسيسا على هذا، ينضوي الموضوع تحت صورة إشكالية نقوم بطرحها للقارئ في ثلاثة فصول صدرت بمدخل منهجي:

فأما المدخل فهو الموسوم ب " مسار الدرس الإعجازي " إرتأينا أن يكون بمثابة توطئة ممهدة للموضوع، حيث عرضنا فيه تلخيص موجز لمسيرة إعجاز القرآن عبر تاريخ الإسلام و أهم القرون التي شهدت نهضة و تقدم لهذا العلم الجديد مع ذكر أسماء لأهم علماء و أدباء و باحثين خاضوا في هذا المجال.

و أما الفصل الأول المعنون ب " الإعجاز القرآني، مقاصده و وجوهه " فقد توخينا من خلاله الوقوف على المفاهيم العامة للمصطلحات التي تواجهنا في دراستنا و كذا المقاصد و الوجوه الإعجازية، حيث أوردناه بدوره في ثلاث مباحث، تناولنا في الأول: تعريف الإعجاز القرآني (المعجزة، الإعجاز القرآني)، أما المبحث الثاني: مقاصد الإعجاز القرآني، و أما المبحث الثالث: وجوه الإعجاز القرآني (البياني، الغيبي، التأثيري، العلمي)

و أما الفصل الثاني المعنون ب " الدرس الإعجازي بين النقد و البلاغة " فأوردناه بدوره في ثلاث مباحث. تناولنا في الأول: أثر القرآن في الدراسات النقدية، أما المبحث الثاني: أثر الدراسات القرآنية في تطور الدراسات البلاغية، و المبحث الثالث: تجليات الدرس البلاغي في كتابات الإعجاز.

و أما الفصل الثالث المعنون ب " الخطابي و بلاغة الإعجاز " فقد حاولنا من خلاله تسليط الضوء على أحد النماذج التطبيقية للدراسات الإعجازية و المتمثل في رسالة بيان الإعجاز القرآني للخطابي فاحتوى بدوره على ثلاث مباحث:

الأول تحت عنوان: مؤثرات ثقافية في حياة الخطابي، أما الثاني: أراء الخطابي البلاغية في الإعجاز، و الثالث: القيمة العلمية لرسالة الخطابي.

كما أفضى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، جمعناها في خاتمة.

و لم يكن البحث ليصل إلى ما وصل إليه من نتائج لولا استناده إلى جملة من المصادر و المراجع القيمة و التي يمكن أن نصنفها كما يلي:

1. كتب الإعجاز البلاغي للرماني و الخطابي و الباقلاني و الجرجاني و غيرهم، و هي مؤلفات أصيلة في بحث بلاغة القرآن المعجزة، فيها مادة مفيدة و متنوعة تمثل وجهات نظر مختلفة.
2. كتب علوم القرآن التي اشتملت على فصول منفردة للإعجاز و هي تذكر وجوها كثيرة للإعجاز منها السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصطفى مسلم، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان مباحث في علوم القرآن و غيرها.

3. كتب البلاغة و النقد، و قد اعتمدنا عليها في إيضاح الجانب البلاغي و النقدي في قضية الإعجاز، منها: مؤلفات الأساتذة المعاصرين، كالدكتور أحمد مطلوب، و بدوي طبانة، مصطفى عبد الرحمان ابراهيم، محمد سلام زغلول.

و في الأخير لا يمكنني أن أدعي أن بحثي هذا قد بلغ درجة الكمال، و لكن حسبي أنني لم أدخر جهدا في الوصول به إلى أحسن صورة، و إن وفقت فالفضل لله و إن أخطأت فمن نفسي، و الكمال لله وحده و عليه التوكل.

المدخل

بعث الله تعالى محمد (صلى الله عليه و سلم) رسولا و جعله خاتم النبيئين و المرسلين، و أيده بمعجزات باهرة، كان أعظمها و أدومها معجزة القرآن الكريم، تلك المعجزة الخالدة التي كانت معجزة العقل البشري في أرقى تطورات نضجه و نموه، فبينما كان تأييد الله عز و جل لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار، و لا سبيل للعقل في معارضته، فالملاحظ أن " المعجزات التي سبقت معجزة محمد (صلى الله عليه و سلم) كانت من المعجزات الحسية، لأنها كانت تقع في مجال الحس و خاصة حاسة النظر، حيث أنها في هذا المجال تنكشف للناس على صورة تكاد تكون واحدة لا اختلاف بينهم فيها، لأن الناس لا يختلفون كثيرا في مدلولات المرئيات، في حين يختلفون اختلافا قد يكون بعيدا في مدلولات ما يقع للحواس الأخرى من مسموعات و مذوقات و ملموسات".(1)

أما معجزة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم فهي معجزة عقلية تواجه العقل و تلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك و الاستبصار، كما قال السيوطي في هذا المقام: " أكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم و كمال إفهامهم، و لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصَّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو الأبصار".(2)

فكانت معجزته تحاجج العقل البشري و تتحداه إلى الأبد، معجزة لها صلة بوظيفة النبوة و أهداف الوحي و معنى الشريعة، معجزة تدخل في صميم كتاب الرسالة نفسها، و هي هذا الكتاب الذي تطلع عليه الأجيال في كل زمن، و يتلونه في كل عصر، فيلمسون فيه البرهان العظيم على إعجازه، حيث يرون أن العقل الإنساني – على تقدمه – لم يعجز عن معارضته لأنه آية كونية لا قبل له بها، و إنما العجز و القصور ذاتي في العقل نفسه، فيكون هذا دليلا و اعترافا على أنه وحي الله تعالى، و أن محمد (صلى الله عليه و سلم) صادق في رسالته، لأنه هو الذي بلّغه إلينا عن ربه.

---

1. عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين. دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية و معاييرها–دار الفكر العربي–ط 1– مصر1974– ص88
2. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي بالقاهرة– ج2– ص148–149.

و لما كان القرآن المعجزة الخالدة الكبرى، كان الحديث عن إعجاز القرآن من أهم الأبحاث المتعلقة

بالقرآن و آدابه و علومه، و هو لبها و جوهرها، و أساسها و عمدتها على أن الحديث عن الإعجاز ضرب من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سر منه، حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سر إعجازها الزمن، فهو كما يقول الرافعي: " و ما أشبه القرآن الكريم – في تركيب إعجازه و إعجاز تركيبه– بصوره كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة و تعاوروه من كل ناحية، و أخلقوا جوانبه بحثا و تفتيشا، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقا جديدا، و مراما بعيدا، و صعبا شديدا، و إنما بلغوا منه – إذ بلغوا – نزرا تهيأت لضعف أسبابه، و قليلا عرف لقلة حسابه، وبقي ما وراء ذلك من الأمر المتعذر الذي وقفت عنده الأعذار، و الابتغاء المعجز الذي نحط عنده قدر الإنسان، لأنه مما سمت به الأقدار و صدق الله العظيم إذ يقول ﴿ لا يأْتيه الْبَاطلُ من بَيْن يَدَيْه وَلَا منْ خَلْفه ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكيمٍ حَميدٍ ٤٢﴾ (فصلت –42)(1)

و القرآن الكريم تحققت له أسباب الإعجاز، التي صار بها المعجز و تلك الأسباب هي:

أولا:

نزوله بلسان عربي مبين: قال الله تعالى﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذي يُلْحدُونَ إِلَيْه أَعْجَميٌّ وَهَٰذَا لسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبينٌ ﴾ (النحل 103).

" فلو كان القرآن الكريم نزل بلسان غير عربي، لاحتجوا بأنهم لا يعرفون اللسان الذي جاء به، و لم يكن للتحدي معنى، لأن شرط التحدي أن نقطع جميع الأعذار التي يمكن أن يتعلق بها من

تتحداه. لذلك اقتضت حكمته الله – سبحانه – أن يكون القرآن الكريم بلسانهم و نظمهم لتقوم عليهم الحجة، و يظهر لهم صدق محمد صلى الله عليه و سلم في دعوته، و فيما يبلغ عن ربه".(1)

1. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية– تاريخ آداب العرب– ج2– دار الكتاب العربي–ط2–ص 109.
2. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية– دار عالم الكتب–ط1– 1985– ص40.

ثانيا:

ازدهار اللغة العربية وقت نزول القرآن الكريم:

كانت الأسواق الأدبية المقامة بمكة و كذا القبائل الوافدة للحج في مكة دور كبير في تهذيب لغتهم و إصلاح ألسنتهم، فعذب أسلوبهم و رقت حواشي لغتهم، و صاروا أفصح العرب و تغلبت لهجتهم على لهجات العرب الأخرى من جميع القبائل.

" فلما أن جاء وقت نزول القرآن الكريم كانت اللغة العربية قادرة على أن تتحمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين: كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى، و كلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المبيانة له من كل الوجوه.

و كان لاختصاص الله اللغة العربية من بين اللغات لتكون لغة القرآن الكريم آثار قوية بعيدة المدى في نفوس الأولياء و الأعداء".(1)

ثالثا:

بلاغة العرب، و قدرتهم على التمييز بين كلامين: كلام بليغ من صنع البشر، و كلام معجز من عند الله.

" العرب قوم اشتهروا بالفصاحة و البلاغة و ذلاقة اللسان، يقر ذلك القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (مريم 97). و يثبته النبي صلى الله عليه و سلم حينما تحدث عن

فصاحته و ذكر أصالتها في قومه و بيئته و نفى اللحن عن نفسه فقال: " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"

و يقرر العلماء و على رأسهم الجاحظ الذي له كلام طويل في صفة العرب بالبلاغة و الفصاحة".(2)

1. أنظر: عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني –ص40–41.
2. المرجع نفسه ص 48.

رابعاً:

تحدي القرآن الكريم للعرب، و إثارة حميتهم لأجل أن يأتوا بمعارضة فلم يأتوا:

" سلك القرآن الكريم مع خصومه طريق المعارضة و تحداهم ليثير حميتهم، فطالبهم – أولا – أن يأتوا بمثله، فقال تعالى ﴿ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء 88. فعجزوا عن الإتيان بمثله".(1)

و لكنهم استمروا في عنادهم، فعاد القرآن إلى تحديهم كما هو أهون من سابقه، فطالبهم أن يأتوا بمثل سورة منه، فقال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس 38.

" و بالرغم من ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، فثبت إعجاز القرآن الكريم و حل صدق محمد (صلى الله عليه و سلم) و أنه مرسل من قوة فوق قوى البشر".(2)

و قد مضى على بحث " إعجاز القرآن " أكثر من أربعة عشر قرنا هجريا، و سيبقى يبحث في القرون التالية حتى قيام الساعة. و هذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني " أن يظل معروضا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل، و هو رحب المدى، سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح، و فوق كل طاقة. (3) و ظهر في القرون السابقة

العديد من العلماء، تحدثوا عن إعجاز القرآن، و أُلّف في الإعجاز العديد من الرسائل و الكتب، قُدّم فيها الكثير من الآراء و النظرات و التحليلات.

1. أنظر: أحمد مختار عمر: قاموس القرآن الكريم، لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي–ط 2–1998ص188.
2. أنظر: حمد خلف الله أحمد–محمد زغلول سلام– ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني– دار المعارف بمصر–ط3– ص53–60.
3. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ: الإعجاز البياني للقرآن، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ص28.

و الناظر في تاريخ المصطلح يلحظ أن كلمة إعجاز بهذه الصيغة و الحروف لم تظهر في عهد النبوة، و لم يتداولها الصحابة على ألسنتهم، لأن الناس كانوا مشغولين بمعرفة الرسالة الجديدة في عقيدتها و أخلاقها و شريعتها، لكن مضمون المصطلح كان متعارفا و متداولا و موظفا من اللحظة الأولى حين نزول جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في غراء حراء.

"لم ترد كلمة " إعجاز " – و لا كلمة " معجزة "– في آيات القرآن، و لا في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا في كلام الصحابة و التابعين، و إنما جاءت ألفاظ أخرى مثل آية و برهان و سلطان، و هذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة، و لا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها، و إنما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد".(1)

و لعل أول استعمال لمصطلح " الإعجاز"كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري. "و قد ذكر العلماء أن " محمد بن يزيد الواسطي " المعتزلي أول من ألف في الإعجاز، حيث ألف كتابا سماه " إعجاز القرآن "، و لكن كتابه فقد في جملة ما فقد من كتب التراث، و توفي الواسطي سنة 306هـ.

و الدليل على أن أول استعمال لمصطلح الإعجاز و المعجزة كان بعد منتصف القرن الثالث، كتاب ألف قبل منتصف القرن الثالث، لم يستخدم كلمتي إعجاز و معجزة، و إنما استخدم مكانهما كلمة " آية ".

و كتاب " الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم. و مؤلفه هو " علي بن ربنِ الطبري " في الربع الثاني من القرن الثالث".(2)

و قد تابع الباحث " نعيم الحمصي "مسيرة الإعجاز عبر التاريخ الإسلامي، و مشى معها قرنا قرنا، و قدم خلاصة ذلك في كتابه " فكرة إعجاز القرآن:منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد و تعليق "

1. أنظر نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى العصر الحاضر– مؤسسة الرسالة – بيروت. لبنان –ط2 – 1980– ص08.
2. صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني– دار عمار–عمان– ط1–2000–ص81.

و عرفنا الحمصي في كتابه بأشهر من تحدثوا عن إعجاز القرآن في كل قرن، و أهم ما قالوه عن الإعجاز و وجوهه، و أهم الكتب التي ألفوها حوله، و خلاصة تلك الكتب.

فتاريخ الإعجاز حافل بكتابات متعددة، كانت حصيلة جهود متعاونة متعددة، فأسهم علماء اللغة و النحو و البيان و الكلام و الأصول، و كانت لهم لبنات في بناء صرح الإعجاز الشامخ، و شذرات جديدة في إرساء قواعد هذا العلم و تشييد بناءه و توطيد أركانه، و يمكن تقرير أن الكتابة في إعجاز القرآن مرت بعدة مراحل و سنذكر فيمايلي أشهر من تحدثوا عن إعجاز القرآن في كل قرن:

في القرن الثالث:

تكلم عن الإعجاز " إبراهيم بن سيَّار النَّظَّام " المعتزلي، و قال: إنَّ القرآن معجز " بالصرفة " أي أن الله صرف الكفار عن معارضة القرآن.(1)

فرد عليه تلميذه المعتزلي الجاحظ، وقال بالإعجاز البياني، و قيل: إنَّ الجاحظ ألف كتابا سمَّاه " نظم القرآن " لكنه لم يصل إلينا.

و تكلم عن الإعجاز في القرن الثالث " عليٌّ بن ربَن الطبري "، تحت عنوان " آية النبي صلى الله عليه و سلم.

كما تكلم عنه محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي، و عبد الله بن مسلم – ابن قتيبة – في كتابه " تأويل مشكل القرآن ".(2)

في القرن الرابع:

بدأ الكلام عن الإعجاز في هذا القرن يأخذ طابع التقعيد و التنظيم و الترتيب.

و أشهر من تكلم عن الإعجاز في هذا القرن: الخطَّابي و الرُّمَّاني، حيث ألف كل منهما رسالة فيه، و سنتحدث عن رسالتيهما بعد قليل إن شاء الله.

1. صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني–ص83.
2. المرجع نفسه ص84.

و ممن تكلم عن الإعجاز أيضا: أبو الحسن الأشعري، و بندار الفارسي، و محمد بن جرير الطبري، و أبو هلال العسكري.

في القرن الخامس:

استمرت الدراسات الأصيلة حول الإعجاز. و ظهر ثلاثة علماء كبار تحدثوا حول الإعجاز بحديث أصيل و هم: القاضي عبد الجبار الهمداني، و القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، و عبد القاهر الجرجاني الأديب الأشعري المعروف. و سنتكلم عن الباقلاني و الجرجاني بعد قليل إن شاء الله.

و ممن تحدث أيضا عن الإعجاز في هذا القرن أيضاً كلٌّ من: ابن حزم الظاهري، و الشريف المرتضي، و ابن سنان الخفاجي و ابن سراقة.

و في القرن السادس:

تكلم عن الإعجاز كل من : أبي حامد الغزالي، و القاضي عياض، و ان رشد الأندلسي، و الزمخشري، و ابن عطية الأندلسي، و الطبرسي الشيعي.(1).

و في القرن السابع:

تكلم عن الإعجاز: فخر الدين الرازي، و السَّكاكي، و الآمدي، و الطوسي، وحازم القرطاجني، و البيضاوي.

و في القرن الثامن:

تكلم عن الإعجاز: ابن الزملكاني، و ابن تيمية، و ابن القيم، و ابن كثير، و ابن جزي الكَلْبي، و الزركشي، و القزويني، و العلوي، و الشاطبي.(2)

1. صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني–ص84.
2. المرجع نفسه . ص84.

و في القرن التاسع:

تكلم عن الإعجاز: ابن خلدون، و الفيروزابادي، و المراكشي.

و في القرن العاشر:

تكلم عن الإعجاز: السيوطي، و الخطيب الشربيني، و زكريا الأنصاري، و أبو السعود، و ابن كمال باشا.

و في القرن الحادي عشر:

عبد الرحيم السيلكوتي، و الشهاب الخفاجي.

و في القرن الثاني عشر:

أحمد الكواكبي، شمس الدين الضرير، و سليمان الشافعي.(1)

و في القرن الثالث عشر:

الشوكاني، و الآلوسي، و صديق خان.

وفي القرن الرابع عشر:

شهد القرن الرابع عشر نهضة علمية كبيرة، و لذلك ظهر علماء و أدباء و باحثون كثيرون، تحدثوا عن الإعجاز ، و أضاف بعضهم للإعجاز إضافات جديدة مفيدة، و قدموا تحليلات و دراسات نافعة قيمة.(2)

و يمكن أن نقسم العلماء الذين تحدثوا عن الإعجاز في هذا القرن إلى قسمين:

القسم الأول: دعاة الإعجاز البياني: من أشهرهم: مصطفى صادق الرافعي، و الدكتور محمد عبد الله دراز، و سيد قطب، و أمين الخولي، و محمد عبد العظيم الزرقاني، و الدكتورة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – و محمد متولي الشعراوي.

1. صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني–ص84.
2. المرجع نفسه . ص85.

القسم الثاني: دعاة الإعجاز العلمي: من أشهرهم: عبد الله فكري، و علي فكري، و طنطاوي جوهر، و الدكتور عبد الرزاق نوفل، و الدكتور محمد جمال الدين الفندي.(1)

هذا تلخيص موجز لمسيرة إعجاز القرآن عبر التاريخ الإسلامي.

و أهم القرون التي شهدت نهضة و تقدم إعجاز القرآن ثلاثة:

الأول: القرن الرابع الهجري:

الذي شهد " تأسيس " أفكار و أراء أصيلة حول الإعجاز، قدَّمها عالمان متمكنان، هما:

الخطَّابي و الرُّمَّاني.

الثاني: القرن الخامس الهجري:

الذي شهد توسيع القول في الإعجاز، و بسطَ الأدلة عليه، و تفصيل القول في وجوهه، و تمَّ ذلك على يد العلماء الثلاثة: القاضي عبد الجبار، و القاضي الباقلاني، و عبد القاهر الجرجاني.

الثالث: القرن الرابع عشر الهجري:

الذي شهد انطلاقة واسعة كبيرة لإعجاز القرآن، على أيدي علماء و أدباء و باحثين، فصَّلوا القول في حقيقة الإعجاز، و في وجوهه و ألوانه، و في أمثلته و تطبيقاته.

1. أنظر – صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني–ص(84–85)

الفصل الأول

المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني (المعجزة، الإعجاز، القرآن،الإعجاز القرآني)

المعجزة:

لم يرد في القرآن الكريم و لا في السنة المطهرة مصطلح المعجزة، و إنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دونت العلوم و منها علوم العقائد، في أواخر القرن الثاني الهجري و بداية القرن الثالث الهجري.لذا نجد " أن " القرآن الكريم " استعمل كلمة (الآية) في صدد إعطاء الدلائل للرسل عليهم الصلاة و السلام لحاجة الأقوال، فقال تعالى ﴿ وأَقْسموا باللّه جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عندَ اللّه ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لَا يُؤْمنُونَ ﴾ الأنعام 109.

كما استعمل القرآن الكريم تارة أخرى لفظ (البينة) كما قوله تعالى ﴿ قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ الأعراف 83. و البينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية.

و تارة يستخدم القرآن الكريم لفظ (البرهان) كقوله تعالى ﴿ فَذَانكَ بُرْهَانَان من رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَملَئه ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسقينَ ﴾ (القصص 32)".(1)

تعريف المعجزة:

" المعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه و تعالى في الكون و لا تخضع للأسباب و المسببات، و لا يمكن لأحد ان يستطيع أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي و الكسب الذاتي، و إنما هي هبة من الله سبحانه و تعالى يختار نوعها و زمانها ليبرهن بها على صدق رسوله الذي أكرمه بالرسالة ".(2)

1. مصطفى مسلم: مباحث في علوم القرآن – دار المسالم للنشر و التوزيع – الرياض – ط2– 1996–ص13.
2. المرجع نفسه ص15.

شروط المعجزة:

و من خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيع أن نلتمس شروطها:

1. "أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: " سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال، كتسبيح الحصى، و حنين الجذع و مثل القرآن. أو ان يكون من قبيل الفعل كعدم إغراق الماء لموسى و عدم سيلانه عليهم ".(1)
2. أن يكون الخارق من صنع الله و إنجازه : لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر 78).

فالمعجزة هبة من الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد أن يعين زمانها و نوعها ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ (الأنعام 109).

3. " سلامتها من المعارضة: فلو استطاع الخصم بأن يأتي بمثل ما جاء به النبي بطلت حجته و لم يسلم له إدعاؤه. إن الأمر دليل على صدقه و إمارة على بعثته من قبل الله سبحانه و تعالى".(2)
4. التحدي بها: و هذا شرط أساسي في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين و إقامة الحجة عليهم.
5. أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله سبحانه و تعالى: أي أن يجعلها الرسول دليل صدق الرسالة لإثباتها و ينسب هذا الأمر لله عز و جل فيقول مثلا آيتي أن يقلب الله سبحانه و تعالى هذه العصا ثعبانا.
6. تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة: لأنه بمثابة الشاهد، و لا يقوم الشاهد إلا بعد قيام الدعوى.(3).

1. سعد الدين السيد صالح: المعجزة و الإعجاز في القرآن الكريم – دار المعارف – ط2–1993– ص19.
2. المرجع نفسه – ص20.
3. أنظرمصطفى مسلم: مباحث في علوم القرآن، ص (15–17)

تعريف الإعجاز:

1. **إعجاز القرآن: " مركب إضافي مكون من كلمتين، إعجاز و قرآن، و هذا المركب الإضافي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا إعجاز القـــرآن(1).**

نتوقف أولا مع الكلمة الأولى في هذا المركب و هي كلمة إعجاز.

إعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي، نقول: أعجز، يعجز، إعجازاً. و الجذر الثلاثي للكلمة هو عجز: نقول: عجز، يعجز، عجزاً، فهو عاجز.(2)

قال الفراهيدي (ت 170هـ) في كتاب العين" عجز، أعجزني فلان إذا أعجزته عن طلبه و إدراكه، و العجز نقيض الحزم، و عجز يعجز فهو عاجز: ضعيف "(3).

و قال ابن فارس (ت 393هـ) " عجز: العين و الجيم و الزاي أصلان صحيحان بدل الأصل الأول، أحدهما على الضعف و الآخر على مؤخر الشيء، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز، أي ضعيف.

و يقال أعجزني فلان إذ أعجزت عن طلبه و إدراكه. فيقولون: عجز بفتح الجيم: قال ثعلب: سمعتَ ابن الأعرابي يقول: لا يقال" عَجزَ" إلا عظمت عجيزته. و من الباب: العجوز و هي المرأة الشيخة. و يقال فلان عاَجز فلانا إذا ذهب فلم يوصل إليه.

و الأصل الثاني: العجز: مؤَخر الشيء، و الجمع: أعجاز، و أعجاز الأمور: أواخرها، و عَجيزةُ المرأة مؤخَّرتها، إذا كانت ضخمة "(4).

و معنى كلام ابن فارس أن مادة "العجز" تستعمل استعمالا أساسيا صحيحا في أصلَين متوافقين: الضعف في الشيء و آخرُ الشيء.

1. محمد هشام حريز: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا و تطبيقيا– دار الشروق للنشر و التوزيع – ط1– 2006– ص13.
2. المرجع نفسه ص 13.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين: تحقيق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان– ج1– ص125.
4. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر– 1979– ص(738–739).

أما الراغب الأصفهاني يحدد معنى العجز في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" فقال: "عَجز الإنسان: مؤخَره، و به شبه مؤخَر غيره. قال تعالى ﴿كَأَنَهم أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾(القمر 20). و العجز أصله التأخر عن الشيء و حصوله عن عجَز الأمرِ، أي مؤخَّرِه. و صار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، و هو القدرة.

و أعجز فلانا، و عَجَّزتُه، جعلته عاجزاً"(1)

و من هنا فالعجز عند كل منهما هو التأخر عن فعل الشيء، و هو من القدرة و الاستطاعة، و يطلق على كل قصور عن فعل الشيء.

الإعجاز: أما الإعجاز " فهو مصدر الفعل الرباعي أعجز. عندنا فعلان: الأول: فعل ثلاثي: نقول: عجز، يعجز، فهو عاجز. بمعنى ضعُف عن فعل الشيء، و قَصَّر عن التنفيذ، و تأخر عن العمل المطلوب، و لم يقدر عليه.

الثاني: فعل رباعي: نقول: أعجز، يعجز، إعجازاً، فهو معجز بمعنى: سبق و فاز، نقول:أعجز الرجل خصمه، بمعنى: فاته و سبقه و فاز عليه، بحيث لم يستطع الخصم العاجز إدراكه و اللحاق به ".(2)

1. الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم – مجلد1– ط4–2009– ص547.
2. صلاح عبد الفتاح الخالدي. إعجاز القرآني البياني. 15.

أما المركب الثاني هو" القرآن "

هو أول أسماء الكتاب العزيز و أشهرها، و أصح الأقوال في شرح معناه اللغوي أنه مرادف للقراءة: و منه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (القيامة 17–18). ثم نقل هذا المعنى المصدري و جعل اسما لكلام الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه و سلم).

وقد قيل: " إن اسم القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع، لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة(1).

و المنقول (عن الأشعري و أقوام: أنه مشتق من قرين الشيء بالشيء، إذا أضممه و إليه و سمي به عندهم القرآن السور و الآيات و الحروف فيه بعضها البعض "(2).

–و حكى قطري قولا: " أنه إنما سمي قرآنا: لأن القارئ يظهره و يبينه من فيه، أخذا من قول العرب، ما قرأت الناقة سلاقط، أي ما رمت بولدا أي: ما أسقطت ولدا أي: ما حملت قط، و القرآن بلفظه القارئ من فيه و يلقيه فسمي قرآناً "(3).

أما اصطلاحاً: " فهو كلام الله المعجز المنزل على محمد (صلى الله عليه و سلم) المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، من أول (سورة الفاتحة) إلى آخر (سورة الناس)"(4).

" (فالكلام) جنس شامل لكل كلام، و إضافة إلى (الله) تميزه عن كلام من سواه من الإنس و الجن و الملائكة.

1. مصطفى ديب البغا_ محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن – دار الكلم الطيب – دمشق – مجلد1– ط2– 1998– ص13.
2. المرجع نفسه ص .22
3. عبد العزيز عبد المغني عرفة: قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة ص.23
4. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم – دار اللواء للنشر و التوزيع – ط3– 1987.

و (المنزل) مخرج للكلام الإلاهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف 109)

وَ يقيدَ اَلمَنزل لكونه (على محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله، كالتوراة المنزلة على موسى، و الإنجيل على عيسى، و الزبور المنزل على داوود، و الصحف المنزلة على إبراهيم.

و قيد (المتعبد بتلاوته) أي المامور بقراءته في الصلاة و غيرها على وجه العبادة لإخراج ما لم يؤمر بتلاوته من ذلك كالأحاديث القدسية"(1).

1. محمد عبد الله وراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن – دار القلم الكويت – (دس–ط) ص14–15.بتصرف.

إعجاز القرآن:

هو " إظهار صدق النبي صلى الله عليه و سلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة ، و هي القرآن، و عجز الأجيال بعدهم".(1)

أما د . محمد سعيد رمضان البوطي، فيقول في بيان معنى معجز " أجمع عامة الباحثين من علماء العربية و التشريع و الفلسفة و العرف المختلفة أن القرآن " معجز"

فما معنى معجز؟؟ لدينا في الجواب على هذا السؤال تعريفان للإعجاز، أحدهما هو المعتمد لدى جمهور العلماء الباحثين، و الثاني تفرد به أبو إسحاق النظام (ت 231 هـ) اللغوي و المعتزلي المعروف. فأما التعريف الأول فهو" أن القرآن قد سما في علوه إلى شأن بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله سواء كان هذا العلو في بلاغته أو شريعته أو مغيباته.

أما التعريف الثاني، فهو أن القرآن كتاب صرف الله قدرات عباده و سلب هممهم و حبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله "(2).

و يعرف الأستاذ محمد علي الصابوني الإعجاز القرآني بقوله" إثبات عجز البشر متفرقين و مجتمعين عن الإتيان بمثله، و ليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، و إنما الغرض هو

إظهار هذا الكتاب حقا، و أن الرسول الذي جاء به رسول صادق، و هكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام".(3)

أما الأستاذ الرافعي فيرى أن " الإعجاز شيئان: أحدهما، ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة مزاولته على شدة الإنسان و اتصال عنايته، و ثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه".(4)

1. . مناع القطان: مباحث في علوم القرآن .. مؤسسة الرسالة ط 15. 1985 ص 259.
2. محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز و جل. مطبعة قرابي دمشق ط 2– 1970 ص (125–126).
3. محمد علي الصابوني: . البيان في علوم القرآن. دار الشهاب، ص (89–90).
4. . مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن و البلاغة البنيوية. ص139..

أما الباقلاني فيعد " أول من تعرض للإعجاز في أقسام القرآن، و لكنه كان يرفض أن يكون الإعجاز قد حصل في بعض الوجوه بمفردها، من غير أن يقارنها ما يصل به الكلام و يفضي عليه. فقد أنكر أن يقول قائل إن ما أقسم به القرآن وحده بنفسه معجز يريد بذلك أن الإعجاز في النظم العام للقرآن".(1)

أما الدكتور علي مهدي زيتون فيرى أن " الإعجاز القرآني هو التعبير الإسلامي عن المعجزة التي وجد كل نبي نفسه مضطرا لاجتراحها لكي يصدقه الناس، و يقبلوا بأن ما يأتيه إليهم هو من عند الله... فكان النص القرآني من الناحية الادبية هو المعجزة التي محمد (صلى الله عليه و سلم) بها العرب"(2).

و عليه فإن الإعجاز القرآني هو " إثبات عجز الإنس و الجن بالتحدي على الإتيان بمثل القرآن قصد إظهار صدق الرسول في دعواه، قد سما في علوه حتى عجزت القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا في بلاغته، أو تشريعه، أو مغيباته "(3).

" جاء الرسول (ص) ليعجز الكافرين لعدم قدرتهم على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله رغم توفر ملكتهم البيانية، و قيام الداعي على ذلك و هو استمرار تحديهم، و تقرير عجزهم عن ذلك " (4). و هذا راجع إلى " أسلوب القرآن الغريب الذي باغت بمميزات أدرك

جمالها و عُجزَ عن مثلها، فجاء مخالفا لأساليب العرب في الكلام و هي المميزات الظاهرة الواضحة التَي يمكن حدها و الإشارة إليها، و منها ما هو داخلي يدرك بالذوق و يصعب بيانه و تعليله، بل قد يكون متعذرا".(5)

---

1. حسين نصار: القسم في القرآن الكريم . مكتبة الثقافة الدينية . ط1. 1421– 2011م ص113.
2. علي مهدي زيتون: الإعجاز القرآني و آلية التفكير النقدي عند العرب و بحوث أخرى – دار الفارابي – بيروت لبنان – ط 1– 2011– ص (43–44).
2. مصطفى ديب البغا_ محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن ص 151.
4. صلاح عبد الفتاح الخالدي. إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني. ص . 15–17 (بتصرف).
5. نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن ص 29–30.

المبحث الثاني:مقاصد الإعجاز القرآني:

لقد اقتضت سنة الله في خلقه ان يؤيد رسله بالآيات التي هي المعجزات بالمعنى الاصطلاحي في مواجهة تحديات الجاحدين الذين ينكرون رسالات الله تعالى عناداً و استكباراً، و من جهة أخرى لإمداد المؤمنين على مدى الزمن بطاقات من قوة اليقين، و نور البصيرة و ثبات القلوب في مواجهة التحديات المادية الكبيرة التي يهاجم بها المعاندون المؤمنين في ميدان الفكر و في ميدان الحرب على السواء.

"لم يسفر ضياء رسالة محمد (ص) الخاتمة إلا و التراث الديني مسطور في الكتاب الكريم بأفصح بيان و أوضحه، بحيث لا يعجز عن إدراكه أقل الناس فهما و وعيا، داعيا إلى أن الكون غيب و شهادة، و الله الحاكم على الغيب و الشهادة"(1).

كان البيان المجسد في القرآن الكريم هدى لمن رقت حجب الغفلة عن قلوبهم فآمنوا، و قد كفر الكثيرون و عاندوا و هم أرباب القلوب الغليظة، و بدأت سلسلة من التحديات و طلبوا آية ربانية أي معجزة بالمعنى الاصطلاحي تدل على صدق الرسول في دعواه،و أعلن الله تعالى أن آية محمد (ص) و معجزته للكفار، ما هي إلا الكتاب المبين، حيث يقول: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

آيَاتٌ مّن رَّبّه ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عندَ اللَّه وَإِنَّمَا أَنَا نَذيرٌ مُّبينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفهمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهمْ ﴾ (العنكبوت 50-51). أيَ أنه قائم مقام المعجزات المادية التي أيد الله بها رسله السابقين.

و القرآن الكريم هو آية الله لرسوله (ص)، فهو البيان الواضح الجلي الذي يدركه كل المخاطبين، و هو في الوقت نفسه معجزة بيانية عظمى تمنح المهتدين مزيدا من النور و تتحدى المعاندين أن يعارضوه بمثله، فكما قال الحافظ ابن حجر في شرحه (2)" أن القرآن أعظم المعجزات و أفيدها و أدومها لاشتماله على الدعوة و الحجة و دوام الانتفاع به إلى آخر الدهر" و أنه أهم وسيلة لمعرفة صدق نبوة الرسول (ص) هي معرفة معجزته من خلال ما فيها من صور الإعجاز التي وقع بها أعظم تحدي في

1. عمار ساسي. الإعجاز البياني في القرآن الكريم: دراسة نظرية الإعجاز البياني في الآيات المحكمات- دار المعارف – ط1-2003، ص90.
2. المرجع نفسه ص 91.

تاريخ الكون و الجن و البشر لقوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ في رَيْب مّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدنَا فَأْتُوا بسُورَة مّن مّثْله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مّن دُون اللَّه إن كُنتُمْ صَادقينَ ﴾ (الَبقَرة 23).(1)

وَ يمكنَ حصر المقاصد التيَ هدف إليهَا الإعجاز القرآني في النقاط التالية: (2)

1. الإعجاز دليل صريح على عظمة الخالق المعجز و برهان صارم على ضعف الإنسان و عجزه في كل زمان مهما أوتي من قوة مادية و معنوية، ومهما أوتي من كلم و بيان و الله فوقه قاهر، قال تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهرُ فَوْقَ عبَاده ۚ وَهُوَ الْحَكيمُ الْخَبيرُ ﴾ (الأنعام 18)
2. يحفظ القرآن من التحريف حتى لاَ يعرض لَه مَثَل ما عرض للَكتب السماوية الأولى كالتوراة و الإنجيل من التحريف و الفساد، لقوله تعالى ﴿يُحَرّفُونَ الْكَلمَ عَن مَّوَاضعه﴾(المائدة13).حتى لا ينجر عن التحريف فساد عريض في العقيدة و الشَريعة يؤديَ بَفساد البشرية مما يترتب عنه وجوب بعثة رسول آخر ينقذها من ضلالها برسالة أخرى صالحة.

3. جعل القرآن خاتم الرسالة، و الشريعة خاتمة الشرائع، و الرسول (ص) خاتم الرسل، فلا تقع الآيات القرآنية عرض التناقض و الاختلاف خصوصا تلك التي تخبر خبر ختم النبوة لمحمد (ص) و منه قوله تعالى﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب 40).
4. انقَضَاء الإعجاز يعني انطلاق أيادي التطاول و التحدي للقرآن من طرف الخصوم و الأعداء.
5. انقضاء الإعجاز هو إعلان عن فشل الدعوة و نهاية النبوة.
6. حفظ الشريعة و العقيدة من التبديل و التغيير و الفساد أبد الدهر إلى يوم الدين، و لعل الآية الكريمة التي بينت الإعجاز القرآني و ثبَّتت حفظ الله له و أكدت دفع المفاسد عن كبيرها و صغيرها إلى يوم القيامة هي قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر 09).

1. عمار ساسي. الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص .94

2. المرجع نفسه، ص (94-95) بتصرف.

المبحث الثالث:وجوه الإعجاز القرآني: (البياني، الغيبي،التأثيري، العلمي)

قال السيوطي:"لما ثبت كون القرآن معجزة النبي (ص) وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز فيه"(1).

و قال الشيخ محمد رضا " فالكلام في وجوه الإعجاز واجب شرعا، وهو من فروض الكفاية، و قد تكلم فيه المفسرون و بلغاء الأدب المتألقون. و وضع الإمام عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة الكتابية "أسرار البلاغة" و دلائل الإعجاز "لإثبات ذلك بطريقة فنية"(2).

و من المعلوم أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ليست محصورة بعد لأنها تتنوع و تتجدد بتجدد مدارك العقل البشري في صيرورته التطورية، و اكتشافاته في جميع المجالات العلمية و

المعرفية، نجد أن وجوها كثيرة تدور حول الأداء البياني و أسلوب القرآن الكريم المتميز في ذلك، ووجوه تنصب على الهدايات في القرآن الكريم و مراميه في إسعاد البشرية بإخراجها من الظلمات إلى النور و إيصالها إلى دار السعادة و النعيم المقيم ... و من الوجوه ما يتعلق بالإخبار عن الغيب ... و منها ما اشتمل على إرشادات و إيحاءات إلى سنن الله في الكون و الطبيعة و الحياة التي خلقهـــا الله سبحانه و تعالى.

لذا يمكن أن نجمع الأقوال جمعا في أربعة وجوه و هي:

1. الإعجاز البياني.
2. الإعجاز الغيبي.
3. الإعجاز التأثيري.
4. الإعجاز العلمي (التجريبي).

1. جلال الدين السيوطي:الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق د متعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة الناشرون ط1، 2008 ج2. ص 118.
2. الرافعي. إعجاز القرآن و البلاغة البنيوية. ط1. انظر المقدمة.

أولاً: الإعجاز البياني:

لقد ضبط التاريخ اعتراف مجموعة كبيرة من فصحاء العرب من أعداء الإسلام بإعجاز القرآن البياني، و لعل قصة الوليد بن المغيرة نموذجا واضحاً على ذلك، فقد اخرج الحاكم ابن عباس قال:" جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي (ص) فقرأ عليه القرآن، فكأنما رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا نأتي محمداً، قال قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك كأنك كارهاً له، قال: و ماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه و لا بقصيده، و لا بأشعار الحب، و الله ما

يشبه الذي نقول شيئا من هذا، و الله إن لقوله الذي يقول حلاوة و إن عليه لطلاوة، و إنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، و إنه ليعلو و لا يعلى عليه، و إنه ليحطم ما تحته ".(1)

لا ريب في أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث على نشأة علم البلاغة، إن لم يكن أقواها جميعاً. فإذا أطلق مصطلح "إعجاز القرآن" فالمقصود إعجازه البـــلاغي، "لأنه الأصـــل الذي وقـــع بـه التحدي، و السمة المصاحبة له في كل ألفاظه و تراكيبه و آياته و سوره و مقاطعه و فواصله، و لا يرتبط هذا الإعجاز بحال المنزل عليه، و لا حال المخاطبين و لا بمقولتي الزمان و المكان، و أما الوجوه الإعجازية الأخرى المعروفة فقد تحضر و تغيب، تحضر في آية و لا تحضر في آيات، و تجدها في سورة و لا تجدها في سور، فهي فيه متفرقة بحسب المواضيع و المناسبات و السياقات و أسباب النزول " (2).

انقسم القائلون بالإعجاز منذ البدء في بحث الموضوع بحثاً علمياً منظماً، فريقين: فريق يقول بأن "الإعجاز راجع إلى بلاغته و حسن نظمه و أسلوبه، فالعرب مع ما هم عليه من الفصاحة و البيان عجزوا عن الإتيان بمثله و لو مفترى، مع أنه من جنس كلامهم و طرقه في الأسلوب لم تخرج من طرقهم، كما أن إعجازه البياني راجع إلى تأليف في النظم، فهذا ابن قتيبة يرى " أن سبك ألفاظ القرآن و ضمها لبعضها إلى بعض في تأليف دقيق بينها و بين المعاني، إنما تجري معاً في سلاسة و عذوبة كالجدول لا تعثر و لا كلفة و لا زيادة و لا فضول ".(3)

1.السيوطي: الإتقان . ج2 ص .117

2. نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن، ص45.

3. حنفي محمد شرف، إعجاز قرآني بياني بين النظرية و التطبيق/المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية اللجنة العامة للقرآن و السنة: 1970 ص30.

أما القاضي أبو بكر الباقلاني فقد رأى أن الذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن الإعجاز وجوه: "منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن عل تصرف وجوهه و اختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم و له أسلوب يختص به و يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، و ذلك أن الطرق التي يتميز بها الكلام البديع المنظوم ينقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدَّل المسجع، ثم إلى معدل موزون و غير مسجع، ثم إلى ما

يرسل إرسالاً فتطلب فيه الإضافة و الإفادة.... و قد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه،و مباين لهذه الطرق، و يبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع و لا فيـــه سيئ منه، و كذلك ليس من قبيل الشعر؟ لأن من الناس من زعم أنه كلام السجع، و منهم من يدعي فيه شعرا كثيراً، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم و أساليب خطابهم ـ أنه خارج عن العادة و أنه مُعجز، و هذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، و تميز حاصل في جميعه"(1)

فالقرآن الكريم احتل من الفصاحة أعلاها، و من البلاغة أشرفها، يقول الإمام الخطابي (ت 388 هـ) " إن أجناس الكلام مختلفة، و مراتبها في نسبة البيان متفاوتة، و درجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل، و منها الفصيح القريب السهل،... و هذه أقسام الكلام المحمود ... فحازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، و أخذ من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم له بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة و العذوبة... و كان منها آية بينة للنبي الكريم، و دلالة واصفة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه"(2).

1. أبو بكر محمد الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط5– 1981 ص.35

2. مصطفى مسلم مباحث في علوم القرآن: ص (81–82).

و من هنا فالقرآن " يظل جاريا على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ و عمق المعنى و دقة الصياغة، و روعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع و القصص و المواعظ و الحجج و الوعود و الوعيد و تلك حقيقة شاقة، بل لقد ظلت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربية و البيان"(1)

فمهما رأيت بليغا كامل البلاغة و البيان، فإنه لا يمكن أن يتصرف بين مختلف الموضوعات و المعاني على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يملكه بل يختلف كلامه حسب اختلاف الموضوعات التي يطرقها، أما في القرآن الكريم " فلا ترى غير صورة واحدة من الكمال، و إن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب و موضع التأليف و ألوان التصوير و أغراض الكلام" (2) فالبرغم من تعدد أوجه الإعجاز في القرآن، يظل إعجازه البلاغي و البياني أهم جانب من جوانب إعجازه، لأنه الواضح بالنسبة للعرب، و " لأنه هو الذي شده به العرب عند أول نزوله فحيرهم، و هم المدركون لأساليبه، العارفون لمناهجه، و من أجل هذا جاءت المصنفات الأولى في الإعجاز أشبه بمباحث بلاغية تتناول أبوابا قدروا أن إعجاز القرآن يعرف بها ".(3)

1. محمد هشام حريز: نظرات من الإعجاز البياني نظريا و تطبيقيا، ص.67

2. محمد سعيد رمضان البوطي . روائع القرآن . ص 274.

3. أحمد مختار عمر: قاموس القرآن الكريم: لغة القرآن دراسة توثيقية فنية– مؤسسة الكويت للتقدم العلمي–ط2– 1998 .ص 195.

ثانيا: الإعجاز الغيبي:

قال الله تعالى ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وما يشْعرونَ أَيَّانَ يبعثونَ﴾ (النمل 65).

الغيوب جمع غيب، و هو كل ما غاب عن الإنسان و لم تدركه حواسه، يقال: " غاب عني الأمـــر غيبـــاً و غيبة و غياباً بمعنى لم أدركه بحواسي، و قوم غيب و غياب و غيب بالتحريك يعني غائبين".(1).

اشتمل القرآن الكريم على أنباء الغيب مما كان خافيا على النبي (ص) و لم يشهد حوادثه و لم يحضر وقتها، و لم يكن على علم بتفصيلات تلك الحوادث، و لم يقرأ كتاب في ذلك.

و لقد تضمن القرآن غيوبا في كثير من آياته و سوره، بعضها يتعلق بالماضي و بعضها بالحاضر و بعضها بالمستقبل.

أ/غيوب الماضي:

توجد في القرآن الكريم أخبار و قصص تتعلق بالأقوام و الأمم السابقة على الإسلام حكاها كما حدثت في الواقع التاريخي، قال السيوطي" من أنبأ به من أخبار القرون السالفة و الأمم البائدة و الشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قضى عمره في تعلم ذلك، و يورد صلى الله عليه و سلم على وجهه و يأتي به على نصه و هو أميٌّ لا يقرأ و لا يكتب" (2)

و يرى الباقلاني وجوه إعجاز القرآن الكريم يتلخص في براهين منها:" كون النبي كان أمياً أمر مسلم به، و هو لم يطلع على كتب الأقدمين و قصصهم و تراجمهم، و مع هذا فقد ذكر الحوادث الماضية من خلق آدم حتى زمنه فليس من المنصف عن القول بأنه تلقى كل هذا رأسا من الله عن طريق الوحي"(3).

1. انظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان– ط8–2005 ج1 . ص.116

2. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن.. ص 122.

3.نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن ص 77.

ثم إن الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، و جاء بها القرآن كان بعضها حديثا عن أهل الكتاب و بعضها عن غيرهم، حتى " أن بعضها لم يكن يعرفها أهل الكتاب أنفسهم، و كان منها ما عرفوه و لكن على غير حقيقته، فجاء القرآن الكريم ليصحح لهم هذه المعرفة، و يبين لهم

وجه الحق، و يدلهم على وجه الصواب. و من أمثلة ذلك قصة نوح عليه الصلاة و السلام في سورة هود ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود 49)".(1)

و يقول بعد الحديث عن قصة مريم – رضي الله عنها –﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران 44)

كما جاء ليبين لأهل الكتاب كثيرا مما اختلفوا فيه و يصحح لهم كثيرا مما اشتهر بينهم فيقول سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل 76).

و " من قضايا التاريخ التي ذكرها القرآن و صححها إطلاقه على حاكم مصر " الملك " مع أنهم كانوا عرفوا بالفراعنة فيما بعد، و ذلك في قوله سبحانه ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ (يوسف 54)، و ذلك لأن لقب الفرعون جاء بعد يوسف عليه السلام". (2)

و من هنا فالمتأمل في قصص القرآن الكريم، و المتدبر لآياته يدرك أن ما جاء به القرآن الكريم مجملاً تارة و مفصلاً تارة، لا يمكن أن يكون إلا من خبر السماء، فكان حرياً أن يعد وجها من وجوه الإعجاز.

1. فضل حسين عباس: إعجاز القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، ص 333.

2. المرجع نفسه ص 334.

ب/ غيوب المستقبل:

1. من أنواع الغيوب الواردة في القرآن الكريم، الأخبار بأحداث ستقع في المستقبل فوقعت كما أخبر بها، فهو بذلك معجز لاشتماله على الأخبار عن الغيب. مطابق لما هو الواقع بعد ذلك. فلقد جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت، و لقد وقعت كما أخبر القرآن عنها، ومن ذلك: قوله تعالى ﴿ الم (1) غُلبَت الرُّوم (2) في أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) في بِضْعِ سنينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ ۚ ويومئذ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) ﴾ الروم (1-4) (1).

2. مَا أخبر به نبيه (ص) و نصرً المؤمنين، و" تمكين دينهم لهم، و استخلافهم في الأرض، و تبديل خوفهم أمنا، فقال سبحانه و تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الذين آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذين من قَبْلِهِمْ﴾ (النور55.) ما وعدَ الله به نبيه (ص) من دخول مكة، و دخول المسجد الحرام، فقال سبحانه و تعالى ﴿ إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ (القصص 85). و قال ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ من دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

(الفتح 27.)"(2)

3. ما أخبر الله به عن أهل مكة في سورة الدخان من أنه سيأخذهم بالسنين و يذيقهم لباس الجوع و الخوف، و ذلك قوله سبحانه و تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (16) ﴾ (الدخان 10-16)

1.أنظر . حنفي محمد شرف. الإعجاز البياني ص .09

2. فضل حسين عباس: إعجاز القرآن الكريم ص 337.

و " البطشة الكبرى هي ما أصابهم يوم بدر، أما الدخان المبين فيبينه ما جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود: قال: إنما كان هذا لأن قريش لما استعصوا على النبي (ص)، دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم القحط و الجوع حتى أكلوا العظام ".(1)

و غيرها من الأمثلة الدالة على الأخبار بغيوب المستقبل.

ج/ غيوب الحاضر:

و نقصد بالحاضر زمن الرسالة الممتد من البعثة إلى وفاة الرسول (ص) و في القرآن مما يتعلق بغيوب هذه المرحلة طائفة، منها الأخبار بالفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه و رسوله و جنده، فقال تعالى﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ و "إذا" لما يستقبل و الإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة."(2)

فقد اجتمع المفسرون أن الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه إخبار بالغيب، فهو بذلك من أظهر الدلائل على صدق نبوته صلّى الله عليه و سلم.

و من ذلك أيضا إخبار القرآن بأن أبا لهب لن يدخل الإسلام أبدا، قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ المسد(01). و لم يستطع أبو لهب إثبات عكس ما أخبر به القرآن بشأنه على الرغم من أنه مولع بمخالفة الرسول (ص)، و بين نزول الآية و موته ما يقرب من العشر سنوات، و هي مدة طويلـــة للتفكير في الإســـــلام و إبطال الخبر الغيبي الذي جاء به القرآن، فكيف لمحمد (ص) أن يعلم أن أبا لهب ســـوف يثبت على شركـــــه و يموت عليه إن لم يكن بوحي من الله؟ و كيف يمكن للرسول أن يتحدى بأمر قابل منطقيا للحدوث لولا أنه من غيب القرآن الذي يفيد القطع و اليقين.

1. المرجع السابق، ص (339-340).
2. . أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ج 4، ط3. 1407، ص 292.

ثالثاً: الإعجاز التأثيري:

التأثير في اللغة مأخوذ من الأثر و هو " بقية الشيء و الجمع آثار و أثور، و أثر فيه تأثيراً ترك فيه أثراً، و ذو الآثار الأسود النهشلي لأنه هجا قومه ترك فيهم أثراً".(1)

و كل أثر يدل على وجود مؤثر سواء كان حسيا أو معنويا، و التأثير هو إبقاء الأثر في الشيء بفعل المؤثر بحيث يوجب انفعالا لهذا التأثير، و التأثير في مجال الإعجاز القرآني يعني ما يتركه السماع أو التلاوة لآياته من أثر ظاهر أو باطن في الإنسان و لا يستطيع دفعه أو مقاومته.

و قد تمثل الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم في عدة مظاهر أهمها:

1. **انقلاب أحوال بعض السامعين من الغفلة إلى اليقظة الإيمانية.**
2. **التحول عن الرأي المعادي للإسلام، فقد أشار أبو سليمان الخطابي إلى كثير مما كانوا أعداء الرسول (ص) و هموا بقتله فلما سمعوا آيات من القرآن لم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول و ركنوا لمسالمته و الدخول في دينه.(2)**
3. **الإبهار الداخلي مع البقاء على الكفر و الشرك تعنتا، حدث هذا مع الكفار و المشركين منهم عتبة بن ربيعة الذي قرأ عليه رسوا الله (ص) سورة فصلت حتى بلغ قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فصلت 13. عند ذلك أمَسك عتبة بيده على فم الرسَـــــَول (صَ) وَ ناشَده أن يكف، و أنه قام لا يدري بما يواجه قومه فلزم بيته حتى جاءه قومه، فاعتذر لهم بقوله " لقد كلمني بكلام و الله ما سمعت أذناي مثله قبل"(3). لكنه بقي على كفره حتى قتل في بدر.**

1الفيروز أبادي، القاموس المحيط ج1 . ص 375.

2 أنظر الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص.70

3. صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية– قطر،2007، ص 84.

4. **الاستجابة الانفعالية عن التأثير بالبكاء: فقد ذكرت كتب السيرة أن جعفر بن أبي طالب لما قرأ على النجاشي صدرا من "كهيعص" بكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، و بكت أساقفته حين سمعوا ما تُلا عليهم.**(1)

5. **الانتقال من حال الكفر و الجحود إلى حال الإسلام و الإيمان، فقد ثبت في تاريخ الإسلام أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تحول من الكفر و الجحود إلى الإسلام و الإيمان بسماع آيات من القرآن الكريم تتلى في بيت أخت فاطمة**(2).

1. أنظر المرجع السابق: ص84.
2. أحمد مختار عمر: قاموس القرآن الكريم، ص 196.

رابعاً: الإعجاز العلمي (التجريبي):

إذا كان القرآن كتاب الله المقروء، فإن الكون هو كتاب الله المنظور. و إذا كان المسلم مأمور بأن يؤمن بآيات الله الكريمة، فإنه ملزم أيضا بتدبر آياته الكونية لقوله تعالى﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران 190.)

و " القرآن الكريمَ حافلَ بالإشارات العلَميةَ الكونية وَ كل منها يدعو الفطرة الموحدة لمزيد من التوحيـــد، و الخشوع و الخشية و الإخبات للحق سبحانه و تعالى، و أكثر الناس إدراكاً بها المتخصصون في الكونيات و علوم الطبيعة".(1) و الدعوة للتفكر في خلق الله و مصنوعاته ظاهرة جلية بصريح النص غير المحتاج إلى تأويل. قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ من شَيْءٍ﴾ (الأعراف 185).

" قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود 07). و فِي الآية الشريفةَ دَليلٌ على أن العرش و الماء كانا مَخلوقين قبل السماوات و الأرض، و خلق الحق سبحانه و تعالى السماوات و الأرض في ستة أيام، و قد أثبت العلماء و الجيولوجيون أن الأرض كانت جزءاً من الشمس ثم انفصلت عنها بعوام خارجية طارئة عليها ثم ابتعدت لتشكل في الفضاء كرة ملتهبة".(2)

و قوله تعالى﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ (الكهف 90.) و " قَد أثبت الإَسكندر أنه وصل إلى مناطق في الأرض لا تغيبَ عنهاَ الشَمس فترة طويلة... أي أنه لا يتعاقب عليها الليل و النهار... و قد وصل الباحثون أن هناك مناطق في العالم لا تغيب عنها الشمس ستة أشهر في العالم كالقطب الشمالي و الجنوبي".(3)

1.سيد الجمبلي: الإعجاز العلمي في القرآن دار الوسام للطباعة و النشر بيروت لبنان . ط2. 1992 ص 10 .

2 .المرجع نفسه ص 19–20 .

3 . محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن . أخبار اليوم . إدارة الكتب و المكتبات ص84 .(بتصرف)

و قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات 47). فقد أعلن عالم الفلك الأمريكي (هابل) في عام 1929 أن المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات و تخضع لعلاقة طردية مباشرة بين المسافة و الزخرفة الطيفية نحو اللون الأحمر فأصدر قانون هابل و الذي ينص على أن الأجرام السماوية في الكون تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، أي أن الكون في حالة تمدد أينما كان موقعنا في الكون.(1)

1.أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم و السنة النبوية– دار ابن الجوزي القاهرة – ط1–2005: ص16.

الفصل الثاني

المبحث الأول: أثر القرآن في الدراسات النقدية:

من المعروف تاريخيا أن العرب حين سمعوا القرآن تأثروا به تأثيرا شديدا و وقفوا أمام روعة نظمه موقف الإعجاب و الذهول و الحيرة، و من هنا برزت ظاهرتان وثيقتا الصلة بالحياة الأدبية العربية منذ بدء الدعوة الإسلامية و هما:

أولاً: " هذا الكتاب العربي المبين الذي تمت له الصدارة على كل ما أنتج العرب من أدب و بيان و الذي هو في الوقت نفسه دستور الحياة و ميزان السلوك و الأصل الأول للتشريع" (1).

و قد اتجهت أذهان المسلمين إلى العناية بهذا النص لشرح ألفاظه و تفسير آياته و تعرف أساليبه و تبين مغازيه و استنباط الأحكام منه و كثير من هذه النواحي يدخل في صميم ما نسميه: نقد الأدب.

ثانياً: " ظاهرة الإعجاز البلاغي و قيام الرسالة السماوية عليه، و من الطبيعي أن يشتغل علماء العربية بها و أن يستعملوا أذهانهم و عبقريتهم في دراستها و أن يستعينوا على هذه الدراسة بكل ما يلزمها من أدوات و هي في صميمها دراسة نقدية من الطراز الأول، فهي تعتمد على بحث الأساليب

و تعمق أسرار البلاغة الموازنة بين ألوان الكلام الرفيع "(2).

و منها أخذ القرآن مكانة الصدارة بصفة كونه النص الأدبي الأول لهذه الأمة و الكتاب المبين المعجز، هذا إلى كونه وحي السماء، و أساس التشريع و القانون المنظم للسلوك، و المرشد الموجه إلى معاني الأمور، و إذا اجتمعت هذه الظروف لكتاب فمن الطبيعي أن يصبح محورا لأهداف الفكر و التأليف في الأمة و ينبوعا لكثير من جداول ثقافتها و حافزا على العناية بكثير من فروع العلم التي يمكن أن تعين على فهم هذا الكتاب و إدراك أسراره و لذلك فإن " دراسات القرآن كانت العامل الأكبر

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مكتبة الشباب، ط1، ص 09.
2. المرجع نفسه ص 10.

في العناية بتدوين اللغة و جمع الشعر و رواية الفصيح و بحث طرائق اللغة في التعبير، و أساليبها في البيان " (1). فكان القرآن بهذا الأثر العظيم في تكوين الأدب في ذلك العصر و ما تلاه من العصور " حيث عكف الناس على القرآن يتدبرون معانيه و يتدارسون آياته، و يتخذون منه مثلا فريدا في التعبير و التصوير و يتزودون من أساليبه الراقية و صوره المثلى و معانيه السامية " (2).

و إذا أردنا أن نحدد الأسباب التي تؤكد تأثر النقد بالقرآن فنجملها في العناصر التالية:

1. القرآن نزل معجزا للناس في كل الأزمان و قد جاء في مستوى بلاغي يعلو مستوى بلاغة العرب في الفصاحة و البيان مما دفعهم للبحث عن مقاييس الجمال فيه، و مقارنتها بما يأتون به، فنشأ البحث عن أدوات النقد و اكتشافها لأسرار الجمال المطلق في القرآن.
2. أن العلوم العربية المعنية بالنص دارت نشأتها حول القرآن، و من تلك العلوم علم النحو الذي اتخذ من القرآن مادته. و النقد العربي كيان، كانت مرجعيته عن كل الأمور و كثير من القضايا و العلوم التي نشأت حول القرآن.
3. نشأ النحو لضبط قراءة القرآن و كذلك البلاغة و كثير من المقاييس في قضايا النقد العربي مأخوذة من هذه المرجعية.
4. أن القرآن لا يزال يمد الباحثين بشتى صنوف العلم المتجددة و التي لا تتوقف عند كثرتهم لذلك قال عنه الرسول " صلى الله عليه و سلم " " لا تفنى عجائبه و لا يبلى على كثرة الخلق "
5. إستمرار تأثير القرآن و التأثر به في كل زمان و مكان.

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، ص 10.
2. مصطفى عبد الرحمان ابراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، 1998، ص 57.

كان تأثير القرآن واضحا في اتخاذ مدار للدراسات البلاغية و النقدية و كانت آياته البيان الشاهد البلاغي الرفيع، كما كان مما فيها من روعة و جمال و تأثير مدعاة إلى التأليف في غريبه و معانيه

و أسراره و مجازه، و نذكر من تلك الدراسات:

1. **أبو زكريا يحي بن زياد الفراء:**

الذي قال فيه أبو العباس ثعلب " لولا الفراء لما كانت العربية، لأنه خلصها و ضبطها، و لولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تنازع و يدغيها كل من أراد و يتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم و قرائحهم فتذهب " (1)

ألف كتاب (معاني القرآن) فقد عني بالتوسع و التخريج النحوي، و بيان القراءات و أوجه التفسير، إلى جانب عنايته بالشرح اللغوي و التنبيه إلى ظواهر الاستعمال و الاستشهاد بالشعر.

و معاني القرآن في الأصل كتاب في التفسير، إلا أن الفراء اتجه فيه بقوة إلحاحا لغويا، فقد اهتم بتفسير القرآن، و نذكر لهذا مثالا: فعند قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ (المائدة 111) قال الفراء: " ألهمتهم " كما قال و﴿أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (النحل 68) أي ألهمها " (2)

" فاهتم بالتراكيب اللغوية و الإعراب و الأساليب الرفيعة، و قد لاحظ النسق الصوتي في كتاب الله و تتبعه و قال أنه يعدل عن بعض الصيغ مراعاة لذلك، و النظم القرآني يختار مع

ما يتفق و المقاطع و الفواصل، و رؤوس الآيات و ينسجم مع النسق الموسيقي العام في الآيات " (3).

1. حسين بن محمد هاشم: منهج الفراء في كتابه معاني القرآن، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية.ص 85.
2. أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن ج1 دار الكتب- ط3، 1403-1983، ص 325.
3. أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات للنشر الكويت 1973، ص 121.

2. ابن قتيبة:

لقد أولى البلاغة عناية كبيرة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) لأنه صنفه للرد على الملحدين الذين يطعنون على القرآن الكريم و يقولون أن فيه تناقضا و فسادا في النظم و اضطرابا في الإعراب وهو طعن يرجع إلى جهلهم بأساليب العرب. و ذكر في المقدمة أن كتاب الله معجز بتأليفه و عجيب نظمه، فقال:" و قطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين و أبانه بعجيب النظم عن المتكلفين و جعله متلوا لا يمل على طول التلاوة و سموعا لا تمجه الآذان و غضا لا يخلق على كثرة الرد و عجيبا لا تنقضي عجائبه و مفيدا لا تنقطع فوائده. " (1) ويشكل كتابه " أول الغيث الذي حاول اشتقاق معاني القرآن و ما فيه من مجاز" (2)، و الذي اعتبر

من أهم القضايا في النقد العربي باعتبار تقسيم الكلام إلى حقيقة و مجاز، فكانت من أهم الأمور التي أثرت في النقد العربي و في تقسيم علوم البلاغة.

فقد وجد ابن قتيبة عناية إلى بيان أسلوب القرآن و حرية مجازات العرب في كلامها من " الإستعارة و التمثيل و القلب و التقديم و التأخير و الحذف و التكرار، و الإخفاء و الإظهار،

و التعريض و الإفصاح، و الكناية و القصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، و بلفظ العموم لمعنى الخصوص و ما إلى ذلك من هذه الظواهر " (3)

و قد جعل ابن قتيبة مفتاح حديثه في الموضوع كون القرآن جامعا لكثير من المعنى في القليل من اللفظ، و ذلك معنى قول رسول الله (صلى الله عليه و سلم) " أوتيت جوامع الكلم "

1. أبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبية: تاويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة – ص 03.
2. علي مهدي زيتون: الإعجاز القرآني و آلية التفكير النقدي عند العرب و بحوث أخرى، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط 1– 2011– ص45
3. محمد زغلول إسلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 12.

و بعد أن شرح ابن قتيبة هذا مطبقا على بعض الآيات قال " و إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واسع علمه، و فهم مذاهب العرب، و افتنانها في الأساليب، و ما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة و اتباع المجال ما أوتيته العرب، خصيصا من الله لما أرهصه في الرسول (صلى الله عليه و سلم) و أراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور به في زمانه المنبعث فيه " (1).

فأخذ ابن قتيبة الإشتغال في النقد بتوضيح ما استغلط علمه على كثير ممن أخذوا يتعلمون العربية و خفيت عليهم المعاني أو الذوذ و الدفاع عن القرآن في قضايا التشابه و الاختلاف و المجاز، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف (72) و مجازه و اسأل أهل القرية، و التأويل هو نظر نقدي أملاه عليه مقارنته بين أسلوب القرآن و أسلوب العرب.

هذا الأشتغال من قبل ابن قتيبة للتوضيح هو صورة من صور الأشتغال النقدي.فدراسته تحاول فهم النص و التعرف إلى ظواهر الاستعمال اللغوي و التركيبي فيه، و الإشارة إلى ما فيه من وجوه المجاز، ففي الوقت الذي اشتغلت فيه الكتب النقدية الأخرى بترتيب طبقات الشعراء و بيان خصائصهم، و شيء عن بيئاتهم و البحث عن ظاهرة البيان عامة و الخطابة بصفة خاصة، و ذكر ما يعرض لها من مظاهر الحسن و القبح، في هذا الوقت اشتغلت كتب الدراسات القرآنية بالبحث عن ظواهر اللغة و فهمها و طرق الأداء، و نظام الجملة العربية في إعرابها و تركيبها و ما في الكلام العربي عامة من أفانين التصوير.

1. محمد زغلول إسلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 13.

3. أبو هلال العسكري:

و الذي يعتبر كتابه (الصناعتين) طورا جديدا من درجات السلم النقدي، ارتقى إليها أبو هلال، و مرحلة وسطى في تاريخ البلاغة، ففيه تتبين علوم البلاغة و تجتمع في ابواب متفرقة، و لكن أبواب البديع تتجاوزه، و أبواب المعاني، و البيان " (1).

و تعد دراسة العسكري " دراسة تأصيلية منظمة و مبوبة تبويبا اعتمدت على مصادر النقد الأدبي عند العرب " (2) " فطريقته اعتمدت على الشرح بنماذج من جيد الكلام، بادئا بإمام النماذج

و هو القرآن " (3).

إن أولى الغايات التي كان يرمي إليها أبو هلال من تأليف الصناعتين كانت غاية دينية أولا، و أدبية ثانيا. " أما أولى الغايتين فإثبات إعجاز القرآن، و فهم أسرار الجمال و نواحي التفوق التي تفرد بها كتاب الله تعالى و تجلي وجوه الإعجاز فيه، و بيان أن العرب لو استطاعوا لما نكصوا على تحديه، و هم أهل الألسن و الفصاحة و البيان " (4).

و كان أبو هلال أحد أولئك المدافعين عن دينهم فيقول: " اعلم: علمك الله الخير و ذلك عليه، و قيضه لك، و جعلك من أهله، أن أحق العلوم بالتعلم، و أولاها بالتحفظ، بعد المعرفة بالله – جل ثناؤه – علم البلاغة و معرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد المدلول به على صدق الرسالة و صحة النبوة." (5)

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 322.
2. محمد تحريشي: النقد و الإعجاز، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004،ص11.
3. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 16.
4. بدوي طبانة: أبو هلال العسكري و مقاييسه البلاغية و النقدية، دار الثقافة، ط3، ص95.
5. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 322.

و بهذا جعل علم البلاغة و الفصاحة أول العلوم و أولاها للحاجة إليهما في الاطمئنان على صحة العقيدة، و هي أول ما ينبغي أن يعلمه الإنسان و يحرص عليه.

و على هذا فإن أبا هلال يرى أن البلاغة تحقق للعالم بها فوائد ثلاثا:

1. " إدراك إعجاز القرآن إدراكا مبنيا على النظر و الفقه و التذوق، لا إدراكا قائما على الإيمان المجرد و التسليم من غير نظره.

2. فائدة نقدية: إعانة العالم على النقد و المفاضلة، و القدرة على تمييز الجيد من الرديء و الغث من السمين و علم البلاغة هو الذي يقدم له معايير الحكم، و مقاييس الإتقان، و به يكون لرأيه الحظ الذي يريده له من المنزلة بين النقاد.
3. فائدة إنشائية: يفيد منها الأديب بدراسة البلاغة إرهاف حسه، و يستطيع بها أن يميز جيد الألفاظ من رديئها، و أن يختار لشعره ما يروق و يشوق، و أن يتجنب حوشي الألفاظ، و البلاغة هي التي توقفه على جهات الإحسان و الإصابة ليتحراها و مزالق الضعف ليتحاشاها ". (1)

و تلك الغايات الثلاث هي أهداف البلاغة في نظر أبي هلال، و نلاحظ هنا أنه قد خلط البلاغة لإثبات الإعجاز، و النقد للتمييز بين الأدب الجيد و الأدب الرديء، و هما مختلطان أشد الاختلاط.

1. بدوي بطانة: أبو هلال العسكري و مقاييسه البلاغية و النقدية ، ص (97-98).

4. أبو سنان الخفاجي:

و ما عمله أبو هلال العسكري في القرن الرابع عمل مثله في القرن الخامس ابن سنان الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة) الذي استمد مادته من القرآن، فيرى أن " بلاغة القرآن هي الوصول

إلى إعجازه، فهو يحث الأديب على معرفة الفصاحة حتى يستطيع من وراء ذلك قول الكلام و نقده، و ليستطيع من وراء ذلك فهم النصوص الشرعية و معرفة لماذا كان القرآن خارقا للعادة".(1)

و يرى أن " القرآن معجز بوجهين فقط: أحدهما: أنه خرق العادة بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر، و يرى أن الفصاحة التي هي الوجه الأول متفاوتة في القرآن الكريم فبعضه أفصح من بعض ".(2) فيقول " أما زيادة بعض القرآن على بعض في الفصاحة فالأمر فيه ظاهر لا يخفى على من علق بطرف من هذه الصناعة و شدا شيئا يسيرا و ما زال (الناس يفردون مواضع من القرآن يعجبون منها في البلاغة و حسن التأليف ... فلو كانوا يذهبون إلى تساويه في الفصاحة لم يكن لأفرادهم هذه المواضع المعينة المخوصصة دون غيرها معنى... ثم ليس أحد ممن ينكر أن يكون بعض القرآن أفصح من بعض يتمتع من القطع على أن القرآن في لغته أفصح من التوراة في لغتها و الإنجيل في لغته و الزبور في لغته لأن تلك الكتب عنده لم تكن معجزة لخرقها العادة بالفصاحة و إن كان الجميع كلام الله تعالى". (3)

و ثانيهما: أنه معجز بالصرفة." فإعجاز القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف لأنها من جنس فصاحتهم، و الفصاحة كما فسرها أمور جمالية في اللفظ استقاها من كلام العرب " (4)

---

1. حنفي محمد شرف: إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع1970،ص88.
2. المرجع نفسه ص 89.
3. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تغير القرآن وبيان إعجازه، منشورات دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص(210-211)
4. المرجع نفسه، ص 211.

إذ بين أن معرفة حقيقة الفصاحة تفيد في ناحيتين، في " العلوم الأدبية إذ بها يعرف نظم الكلم على

اختلاف تأليفه و نقده، و معرفة ما يختار منه ما يكره، و في العلوم الشرعية إذ أن المعجز الدال على نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) هو القرآن، سواء أذهبنا مذهب القائلين بأن خرق العادة بفصاحته، أم مذهب القائلين بالصرفة، فلا من وجه لنا في الوجهين عن بيان ماهية الفصاحة لنقطع في الأول بأن فصاحة القرآن خرجت عن مقدور البشر، و في الثاني بأنها كانت في مقدورهم و من جنس فصاحتهم." (1)

و تحقيق لهاتين الفائدتين بحث ابن سنان بحثه الشامل في أصوات اللغة و في فصاحة المفرد و المركب، و في بلاغة نعوت الكلام البليغ.

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 16-17.

5. الزمخشري:

و في القرن السادس عالج الإمام الزمخشري موضوع الإعجاز على طريقة التغيير، فذهب إلى أن الله عز و جل قد خص العرب بالنصيب الأوفر من سحر البيان، فاصرفوا في ألوان القول المختلفة، و كأنه تعالى قد خص هذا البيان و ألقى زبدته على لسان محمد (صلى الله عليه و سلم)، و قد " أنزل عليه لتأييد رسالته كتابا ساطعا بيانه قاطعا ببرهانه، و جعله مفتاحا للمنافع الدينية و الدنيوية، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزا باقيا دون كل معجز على وجه الزمان، و الطريق إلى إدراك أسرار هذا الكتاب هو علم التفسير الذي لا يستطيع الغوص على حقائقه إلا رجل برع في علمين ضرورين لدرس القرآن هما علم المعاني و علم البيان".(1) فالزمخشري كان مبهورا بإعجاز القرآن فقال: " فانظر إلى بلاغة هذا الكلام و حسن نظمه و ترتيبه و مكانة أضماده و رصافة تفسيره و أخذ بعضه ببعض كأنما إفراغا واحدا و لأمر ما أعجز القوى و أخرس الشقاشق " (2).

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص17.
2. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تغير القرآن وبيان إعجازه، ص264.

6. ضياء الدين ابن الأثير:

و في أواخر القرن السادس و أوائل السابع الهجري، برز ضياء الدين بن الأثير، بكتابه المشهور " المثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر " الذي كان فيه القرآن العامل الأكبر في أدبه و فنه و دراسته النقدية، فهو يعد القرآن أو الأدوات التي لا بد لمن ركب ألة فيه طبعا قابلا للأدب أن يستعين بها: فإن صاحب هذه الصناعة يستطيع إذا كان حافظا للقرآن أن يضمن كلامه بالآيات في اماكنها اللائقة بها، فيكسبه بذلك فخامة و جزالة و رونقا، و يستطيع إذا عرف مواقع البلاغة و أسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن – أن يتخذه بحرا يستخرج منه الدرر

و الجواهر و يودعها مطاوى كلامه " (1)

فابن الأثير وجد أن أعون الأشياء على النبوغ في الكتابة حل آيات القرآن الكريم و الأخبار النبوية

و حل الأبيات الشعرية و على هذا كان من الطبيعي أن يتأثر بالقرآن في منهجه النقدي.

1. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص18.

7. الإمام يحي بن حمزة العلوي اليمني:

بكتابه (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز)،و الذي تحدث في المطلب الخامس منه عن بيان غرضه فيقول: " و اعلم أنه يراد لمقصدين: المقصد الأول مقصد ديني، و هو الإطلاع على معرفة إعجاز كتاب الله و معرفة معجزة رسول الله (صلى الله عليه و سلم) إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز القرآن في منشور كلام العرب و منظومه. (1)

و قد قسم كتابه هذا إلى ثلاثة فنون:

الفن الأول: المقدمات الضرورية في الموضوع، و الفن الثاني لبحوث المعاني و البيان، و الفن الثالث فقد عرفه المؤلف فصاحة القرآن العظيم و أنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها، و أنه ينشأ من الكلام، و أنه عظم دخوله في البلاغة و الفصاحة فإنه لا يدانيه و لا يماثله، ثم يذكر كون القرآن معجزا للخلق، و وجه هذا الإعجاز و أقاويل العلماء في ذلك، مظهرا منها الوجه المختار في الموضوع.(2)

و استمر التأليف في إعجاز القرآن، و اختلفت وجهات النظر و تشبعت سبل القول خاصة في تحديد البلاغة في القرآن، لأن هذا لم يقف عاجزا أمامهم و لم يحبط عزمهم و مضوا يلتمسون بلاغة القرآن و يتبينون إعجازه فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة و أجل مورد للنقد. فكل الدراسات كانت انشغالات نقدية اتخذت من القرآن مادة أساسية للعمل، و " فكرة الأعجاز تأخذ مكانها في هذه البحوث النقدية باعتبارها غاية حينا و ثمرة حيناً آخر " (3)

1. يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة – تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت، 2002، ط1. ص 32.
2. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 19.
3. المرجع نفسه ص 16.

المبحث الثاني: أثر الدراسات القرآنية في تطور الدراسات البلاغية

بلغ عرب الجاهلية من حسن البيان مبلغا رفيعا، جعلهم يميزون بين صور الكلام، و يبدون بعض الملاحظات البسيطة عليه، و نمت هذه الملاحظات بعد ظهور الإسلام، بما نصه القرآن الكريم و الحديث النبوي أمامهم من مثل أدبية رائعة "(1).

إن القبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة الذبياني بسوق عكاظ في العصر الجاهلي، ليجلس تحتها، و يأتي إليه الشعراء، و يعرض عليه كل منهم شعره ليميز هو بين حسن الشعر و رديئه، و يختار أفضله لتدل دلالة واضحة على أن هناك مقاييس معينه كان يختار وفقها أفضل الشعر، و " هذا دليل على أن العرب في الجاهلية قد عرفوا البلاغة، و لكن البلاغة الفطرية البسيطة البعيدة عن التقعيد و التعقيد "(2).

و يلخص الأستاذ حمادي صمود دور الملاحظات البلاغية و النقدية في العصر الجاهلي في تكوين نواة البحث البلاغي عند العرب، فيقول: " و قد احتفظت المصادر بجملة من الأخبار عن هذه الفترة، تتضمن ملاحظات تمثل رغم تواضعها اللبنة الأولى في العمل النقدي و البلاغي، و تشير إلى بداية الاهتمام بقضية الصياغة " (3)

و قد بدت هذه الأخبار متفاوتة القيمة رغم انتمائها إلى عصر واحد، فرأينا أن نقسمها ثلاثة أقسام بحسب أهميتها، و درجة نضج الأحكام التي تضمنتها:

يقوم القسم الأول منها في نطاق المفاضلة بين شاعر و آخر على مجرد الانطباع، و يقوم التعليل فيها إن وجد على عناصر لا تتعلق بالشعر نفسه، و حتى و إن تعلقت به فلا يعدو ذلك الصيغة اللغوية

المستعملة بعيدا عن كل تصور الفن الشعري و الصورة الأدبية.

1. شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ –دار المعارف مصر–ط9– ص368–
2. عبد المتعال الصعيدي: البلاغة العالية– علم المعاني – دون تاريخ طبعة – القاهرة – ص35.
3. محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية، المساهم، ط 1، 2007 – ص 33.

و من ذلك ما روي كتب الأدب عن أم جندب زوجة امرئ القيس حين عرض عليها أن تقضي بين زوجها و بين علقمة الفحل، و حكمت لعلقمة، و قالت لزوجها، علقمة أشعر منك. قال كيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللساق ألهوب وللسوط درة ... وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، و مريئه فأتعبته بساقك، و قال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، و لم يضربه و لم يتعبه.

و من هنا فعلقمة تفوق على امرئ القيس لا بفنه الشعري و إنما بتعبيره أكثر عن طبيعة الحياة الجاهلية(1).

أما القسم الثاني : مجمله أخبار تدل على تفطن الشعراء إلى ضرورة تعهد الصياغة الفنية، و تنقيح الشعر و تصنيفه، و في هذا وعي غامض لا محالة بأهمية عنصر الاختيار في العمل الشعري، و تجاوز مقولة الفطرة و السليقة في الأدب و الفن، و يبدو أن زهير بن أبي سلمى كان على رأس هذا المذهب و زعيمه. يقول الجاحظ " و من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا عربيا و زمنا طويلا، يردد فيها نظره و يحيل فيها عقله و يقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله و تتبعا على نفسه، فيجعل لعقله زماما على رأيه، و رأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه

و إحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته، و كانوا يسمون تلك القصائد، الحوليات و المقلدات و المنفحات و المحكمات، ليصير قائلها فحلا صنديدا، و شاعرا معلقا..."(2)

1. محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم– ص 34.
2. الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق و شرح غبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت. ج2–ص9.

أما القسم الثالث: من هذه الروايات فهو أكثرها صراحة في الإنساب إلى المباحث البلاغية، و أعمقها دلالة على إدراكهم لخصائص الشعر التي تقوم أساسا على القدرة على صياغة الصورة الفنية، و إن كان ذلك لم يتجاوز في علمنا التشبيه، و من ذلك ما كان من أمر زهير مع إبنه كعب،

و إشفاقه عليه من قول الشعر صبيا، في عدم قدرته عليه، فلما رآه يجيد الوصف و يدقق التشبيه، سمح له بتعاطيه(1).

و من هنا قد تناول العرب البلاغة بالبحث و الدراسة لسببين:

أحدهما فني:

ففي بادئ الأمر كانت " إرشادا و تعليما للذين يريدون الإصابة في القول، و رسما و منهجا للخطباء و رجال الفرق المذهبية و دعاة المذاهب السياسية و الذين يتصدرون للكلام أمام الجموع الكثيرة(2).

و من ثم صارت لتمييز جيد الكلام من رديئه، و إظهار مواطن الجمال في الأدب، و من البلاغيين الذين بحثوا في هذا العلم تأدية لهذا الغرض ابن طباطبا الذي ألف كتاب " عيار الشعر

" و بحث فيه صناعة الشعر و الميزان الذي تقاس به بلاغته، و قدامة بن جعفر الذي ألف كتاب " نقد الشعر ".

ثانيهما ديني:

فبعد نزول القرآن الكريم ببلاغته التي أبهرت العقول، بدأ " العرب بدراسة أسرار هذه البلاغة، بما فيها من براعة في التركيب و التصوير، و سلامة في الألفاظ و عذوبة و سهولة و جزالة، ليبرهنوا على إعجاز القرآن الكريم و ليستوضحوا أحكامه، و يتفهموا معانيه".(3)

1. محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم، ص 35.
2. علي الجمبلاطي – أبو الفتوح التونسي– الاصول الحديثة لتدريس اللغة العربية و التربية الدينية–ط 2– دار النهضة مصر، القاهرة ص290.
3. محمد كريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: جمعية الدعوة الإسلامية العالية، ط1، 1426، ص 28.

فالفكر الديني بقرآنه الكريم و حديثه الشريف دفع الباحثين إلى البحث في البلاغة و ذلك لسببين:

1.تفسير آيات القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة لمعرفة الأحكام الإلهية، فقد قال الزمخشري: " إنه لا يستطيع تفسيره إلا شخص برز في علمي المعاني و البيان(1).

و أكثر الدراسات الدينية التي تمت، و كان هدفها التعرف على معاني القرآن الكريم، و الحديث الشريف، تطرقت بشكل أو بآخر إلى العلوم البلاغية في أثناء التفسير، و لم يكن بالإمكان الابتعاد عن ذلك لأن معرفة البلاغة شيئ أساسي لمعرفة المعاني الدينية.

2.معرفة إعجاز القرآن الكريم، و سر بيانه، و بديع أسلوبه، الذي فاق كل ما جاء على لسان العرب. و من أجل ذلك فقد ألف العرب العديد من الكتب التي بحثت في بلاغة القرآن و

أسرارها، و من ذلك: دلائل إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني، و معاني القرآن للفراء، و مشكل القرآن لابن قتيبة، و النكت في إعجاز القرآن للرُّماني، و إعجاز القرآن للباقلاني، و إعجاز القرآن لعبد الجبار، و الصناعتان لأبي هلال العسكري.

فالعلاقة وثيقة بين البلاغة و الدين، فمن الفكر الديني الذي استمدت البلاغة وجودها، و بها حاول الباحثون البلاغيون تفسير الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة و بيان سر إعجاز القرآن الكريم.

و من هنا عد القرآن الكريم العامل الرئيسي الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها، و كان " هذا العامل أهم البواعث في إثارة الهمم للبحث الجاد عن ترتيب وجوه الكلام، و التمييز بين الأساليب و معرفة الجوانب الجمالية في نسيج تركيب الجملة العربية، و يجمع العلماء على أنه بفضل الكتاب العزيز نشأت علوم البلاغة التي أمدها النص القرآني بفيض من الأمثلة البديعية في محاسن الكلام و بديع النظم. (2)

1. مهدي صالح السامرائي- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ط 1- المكتب الإسلامي دمشق، 1977- ص7.
2. حمادي صمو: التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية،1981،ص135

و لو نساء لنا عن أسباب نشأة البلاغة التي هي المعاني و البيان و البديع، لتبين لنا أنها " نشأت للدفاع عن القرآن، و الرد على الذين أنكروا إعجازه من أمثال إبراهيم النظام المعتزلي الذي كان يعتقد أن القرآن ليس في درجة من االبلاغة و الفصاحة تمنع من الإتيان بمثله، فبلاغته لا تزيد على بلاغة سائر الناس، و هو من جنس كلام البشر، و مثل هذا الرأي دفع علماء المسلمين إلى

الخوض في مسائل البلاغة التي تدرس خصائص النص القرآني، مما سيكون له أثر كبير في إغناء المباحث البلاغية، فقد أثمرت أهم نظرية في تراثنا البلاغي و هي نظرية النظم." (1)

" و يعد عبد القاهر الجرجاني أول من وضع نظرية البيان في تاريخ الباحثين " (2).

و من هنا كان الرد على النظام باعثا مهما و منطلقا لعلماء البلاغة أن يثبتوا تفوق الأسلوب القرآني على الأساليب البشرية و تميزه بأصناف البيان و البديع.

ثم جاءت دراسات جادة شرعت في بناء منظومة واسعة، غرضها شرح أوجه إعجاز القرآن و دراسة أسلوبه، و هذه " الدراسات زودت مسيرة علم البلاغة بفيض من الأصول و الأمثلة التي اعتمدتها مصنفات علوم البلاغة فيما بعد القرون الأولى" (3) و كان اختلاف وجهات النظر في مواطن إعجازه مادة ثرية، رفدت هذه العلوم بروافد تأصيلية في البحث البلاغي و النقد الأدبي. (4)

و بذلك تبين لنا أن أهم جانب ساعد على ظهور التفكير البلاغي هو الجانب المتصل بإعجاز القرآن، كما تبين لنا اتساع الدراسات البلاغية و ازدهارها إنما كان لخدمة القرآن الكريم.

1. مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر دمشق، ص 38.
2. وليد مراد: نظرية النظم و قيمتها العالمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر–ط1– 1983، ص 55.
3. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 208.
4. مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، ص 47.

و لم " تقتصر علاقة القرآن بمنهج البحث البلاغي على الدفاع عنه و التماس وجه إعجازه، بل إن ثمة علاقة أخرى، و هي الضرورة التي يحبها المسلم من جهة فهم معانيه." (1)

و من هنا جال " علماء البيان بضروب الأسلوب القرآني، و كان هذا من الحوافز التي وجهت أنظارهم إلى الفنون المختلفة للتعبير الفني في الشعر و النثر، فوضعوا مصنفات كثيرة في هذه

الحقول"(2). و كانت هذه المصنفات صدى لبيان خصائص النظم القرآني، فكما قال الدكتور بدوي بطانة " من النادر أن نجد أثرا من الآثار التي عرضت للبيان العربي خلا من الإشارة إلى القرآن و نظمه، و هذا يؤكد بعد أثر الدراسات القرآنية في نمو الدراسات البيانية و تنوعها، و عدم انقطاع هذا التأثر في سائر العصور " (3).

و من تلك المصنفات ما اختصت بدراسات بلاغية لبعض المتكلمين، أولهم علي بن عيسى الرماني أحد أعلام المعتزلة في عصره، و المتوفي في عام 386هـ، الذي ألف كتاب النكت في إعجاز القرآن، و قد كتب رسالته هذه جوابا عن سؤال أحدهم و قد " طلب إليه تفسير تلك النكت في إجمال و بدون تطويل في الحجاج، و يستهل الرسالة برد تلك النكت إلى سبع جهات، و هي:

" ترك المعارضة مع توافر الدواعي و شدة الحاجة و التحدي للكافة و الصرفة و البلاغة، و الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة و قياس القرآن بكل معجزة، و ما يهمنا منها حديثه عن البلاغة، و يبتدئ حديثه بتقسيمه لها إلى ثلاث طبقات عليا و وسطى و دنيا، و العليا هي بلاغة القرآن، و الوسطى و الدنيا بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم في البلاغة، و جعل للبلاغة عشرة أقسام و هي:

1. بدوي طبانة: علم البيان: دار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، 1967، ص 25.
2. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 28.
3. بدوي طبانة: علم البيان: ص 75.

الإيجاز، و التضمين و التشبيه و الاستعارة ة التلاؤم، و الفواصل، و التجانس، و التصريف و المبالغة و حسن البيان " (1).

و من دراسات المتكلمين في البلاغة دراسة أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني و المتوفي عام 403هـ، في كتابه: إعجاز القرآن. و هو من أعلام المتكلمين في عصره، " أفرد في كتابه هذا جزءا تحدث فيه عن البديع ليرى هل يمكن أن يعلل الإعجاز القرآني بها أم لا يمكن، لقد تحدث في هذا القسم عن الاستعارة و الإرداف، و المماثلة، و هو ما يتفق فيها مع العسكري في التسمية و المطابقة آخذا إياها عن ابن المعتز، و الجناس و الموازنة، و أخذ عن قدامة المساواة و الإشارة و المبالغة، و الغلو و الإيغال و التوشيح و صحة التقسيم و صحة التفسير و التتميم و الترصيع و التكافؤ و يقصد بها المطابقة، و التعطف و هو ما سماه قدامة المطابق، و تحدث عن السلب و الإيجاب على أنه فن مستقل عن الطباق كما تحدث عنه العسكري، و تحدث عن الكناية، و التعريض و جعلهما من ألوان البديع

كابن المعتز، و تحدث عن العكس و التبديل، و الالتفاف و التذييل، و جعله كالعسكري من فنون البديع، بينما ألحقه المتأخرون بالإطناب في علم المعاني، و ألحق بالبديع الاستطراد،و قد أدخله ابن المعتز بباب الخروج من معنى إى معنى، كما ألحق التكرار، بينما نجد العسكري قد ألحقه بالإطناب بقصد توكيد القول لدى السامع، و ألحق بالبديع الاستثناء و هو تأكيد المدح بما يشبه الذم كالعسكري، ذكر في نهاية فصله أنه لم يذكر كل فصول البديع و إنما ذكر جزءا منها(2).

و من دراسات القرن الثالث الهجري في البلاغة دراسة محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي الأصبهاني المتوفي عام 322هـ، الذي ألف كتاب: عيار الشعر، و تحدث فيه عن صناعة الشعر و الميزان الذي تقاس به بلاغته.

1. عبد المتعال الصعيدي – البلاغة العالية – علم المعاني، القاهرة– ص(107)
2. شوقي ضيف – البلاغة و تطور و تاريخ – ص(107–112)

و في القرن الرابع الهجري قام البلاغي أبو هلال العسكري المتوفي عام 395هـ، بتأليف كتاب: الصناعتين، و قصد بالصناعتين النثر و الشعر، و تناول في كتابه هذا بالباب الخامس منه الإيجاز كما تناوله الرُّماني، و الإطناب، و تحدث عن التشبيه في الباب السابع مقتديا بالرُّماني، و تحدث في الباب الثامن عن السجع، و الازدواج و أدخل فيهما فواصل القرآن خلافا للرُّماني و الباقلاني، و أفرد الباب التاسع للبديع، و جعله خمسة و ثلاثين فنا، فأخذ عن قدامة و ابن المعتز تسعة و عشرين فنا، و بقي ثلاثة عشر يقول أنه وضع منها ستة هي التشطير، و الجاورة، و التطريز و المضاعفة و الاستشهاد و التلطف، و بقيت سبعة لم يعرف من وضعها هي المماثلة، و التذييل، و الاستطراد، جمع المؤتلف و المختلف، و السلب، و الاستثناء و التعطف، و يظهر أنه أخذها من رسالة خاله أبي أحمد في صناعة الشعر و قد ورد اسمه مراراً في كتابه(1).

ثم جاء ابن رشيق القيرواني المتوفي عام 463هـ، و ألف كتاب: العمدة في صناعة الشعر و نقده، جعله في مائة باب، جمع به كل ما قدمه البلاغيون من قبله من البيان و البديع، و المسائل الجديدة التي قدمها للبلاغة، في باب البديع هي: نفي الشيء بإيجابه، و قال عنه إنه ضرب من المبالغة، و الاطراد(2)، أي أن تطرد أسماء آباء الممدوح من غير كلفة كقول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد

و أنت امرؤ ترجو شبابك وائل(3).

1. شوقي ضيف – البلاغة و تطور و تاريخ – ص(140-143)
2. المرجع نفسه ص 150.

3. المرجع نفسه ص 155.

ثم جاء ابن سنان الخفاجي المتوفي عام 466هـ و ألف كتابه: سر الفصاحة، و قد فصل في كتابه هذا الحديث عن الفصاحة فبدأ حديثه عنها ببيان الفرق بينها و بين البلاغة، و جعل الفصاحة " خاصة بالألفاظ بينما جعل البلاغة عامة في الألفاظ و المعاني و بذلك كان كل كلام بليغ – فصيحا و لم يكن كل فصيح بليغاً " (1).

و قسم الفصاحة إلى فصاحة الكلمة المفردة فذكر شروطه فصاحتها، و فصاحة الكلام فتحدث عن شروطه.

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني المتوفي عام 471هـ و الذي صاغ البلاغة إلى فن له قواعده و مبادئه، و قد اعترف له أكثر العلماء و منهم يحي بن حمزة الحسيني صاحب كتاب: الطراز في علوم حقائق الإعجاز، حيث جاء في مقدمة كتاب أسرار البلاغة لناشر الكتاب (محمد رشيد رضا) عن رأي الحسيني في ذلك: " و قد جاء في فاتحة كتابه هذا و هو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر (و الرأي لناشر الكتاب محمد رشيد رضا) ما نصه: " أول من أسس في هذا الفن قواعده و أوضح براهينه، و اظهر فوائده و رتب أفانينه، الشيخ عبد القاهر الجرجاني، فلقد فك قيد الغرائب بالتقليد و هو من سور المشكلات بالتسوير المشيد، و فتح أزاهره من أكمامها، و فتق أزراره بعد استغلالها و استبهامها فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء، و جعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب و الأجزاء، و له من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز، و الآخر لقبه بأسرار البلاغة(2).

1. شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ ص 155.

2. عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – دار المعرفة بيروت (ط)، 1978.

و يرى شوقي ضيف في كتابه : البلاغة تطور و تاريخ، أنه لم يعد هناك إبداع بالبلاغة بعد الجرجاني و الزمخشري و إنما كانت مرحلة جمع و تصنيف و تقعيد و فصل بالبلاغة عن الأدب، و سمى هذه المرحلة بمرحلة الجمود في البلاغة.

و من البلاغيين الذين ظهروا في هذه المرحلة: الفخر الرازي المولود عام 544هـ، الذي ألف كتاب: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

و ظهر السكاكي المولود عام 555هـ، الذي ألف كتابه: مفتاح العلوم، وقد قد أخطأ بعضهم فظن أن السكاكي مؤسس البلاغة بسبب التقسيم و التبويب و التنظيم الذي جاءت عليه علوم البلاغة على يديه، فقد أفرد ما يتعلق بنظم الألفاظ في علم سماه: علم المعاني، و أفرد ما يتعلق منها بوضوح الدلالة و إخفائها في علم سماه: علم البيان، و جعل الوجوه التي تقصد لتحسين الكلام ذيلاً لهذين العلمين، و هي التي خصت بعد ذلك باسم علم البديع(1). و لكن شدة التقعيد التي برزت في كتابه و طريقته التقريرية جعلت البلاغة أكثر جمودا، و أبعدتها عن غايتها.

و فيما بعد، كثر المصنفون و الملخصون لكتب البلاغة التي ألفت قبلهم فمنهم: ضياء الدين ابن الأثير المولود عام 558هـ، صاحب كتاب: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، و الخطيب القزويني، الذي لخص كتاب السكاكي.

و من هنا فإن الدارسين المحدثين لمحو علاقة علم البلاغة بكتاب الله، يقول الدكتور مازن المبارك: " و هكذا نشأت البلاغة و ترعرعت تحت راية القرآن و البحث في إعجازه، و هذا البحث هو الذي

وصل بها إلى أن تصبح علما مستقلا يُخص بالتأليف بل لقد ظلت البلاغة بعد نضجها و استقلالها أيضا عالقة بفكرة إعجاز القرآن و الدفاع عنها " (2)

1. عبد المتعال الصعيدي- البلاغة العالية- علم المعاني- ص37.
2. مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة،ص 87.

و هكذا نلخص إلى أن البلاغة العربية في نشأتها و تطورها و ثمارها لا تنفك عن القرآن، إذ سعت في خدمة بيانه، و ساهمت في شرح إعجازه و بديع نظمه.

المبحث الثالث: تجليات الدرس البلاغي في كتابات الإعجاز:

اتجه العلماء إلى البحث عن إعجاز القرآن في بيانه و نظمه، فكان لذلك أثر بارز في نشأة البلاغة العربية كما هو معلوم، بالرغم من أن هذين العلمين: علم إعجاز القرآن و علم البلاغة العربية، سارا فيما بعد جنبا إلى جنب، فإن البلاغة كانت الوسيلة لإدراك الإعجاز و بقيت– لذلك– في خدمة هذا العلم الجليل، قال أبو هلال العسكري: " و قد علمنا أن الإنسان إذا أغفل البلاغة و أخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جملة ما خصه الله به من حسن التأليف و براعة التركيب."(1)

و قال الإمام يحي بن حمزة العلوي: " يراد علم البلاغة لمقصدين، الأول منهما مقصد ديني و هو الإطلاع على إعجاز كتاب الله و معرفة معجزة رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ لايمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز علم البيان و الإطلاع على غوره".(2)

بل إنه عرف البلاغة بأنها " علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل إلى الإطلاع على معرفة حقائق الإعجاز و تقرير قواعده من الفصاحة و البلاغة إلا بإدراك هذا العلم و إحكام أساسه".(3)

و من هنا " اهتم الدارسون العرب بالقرآن الكريم و بدراسة و بيان إعجازه لاعتقادهم أن البلاغة القرآنية هي أساس الإعجاز".(4) فوضعوا لذلك دراسات و مؤلفات تكشف عن نظرتهم إلى الموضوع و من تلك الأسماء:

1. أبو هلال العسكري: صناعتين . تحقيق علي محمد بجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم . مطبعة القاهرة . 1981، ص 70
2. عدنان محمد زرزور . بين مفهوم المعجزة و إعجاز القرآن نظرات نقدية. مكتبة المهتدين الإسلامية، ص 21–22
3. المرجع نفسه ص 22.
4. محمد تحريشي: النقد و الإعجاز – منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق 2004 ص10.

أولاً: الرُّماني:

و هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، نسبة إلى الرُّمان و بيعه، أو نسبة إلى قصر الرُّمان في العراق.

ولد سنة 296هـ، و عاش معظم حياته في بغداد، وكان محبا للعلم، كما كان إماما من أئمة المعتزلة، متمكنا من علوم العربية، مقبلا على القرآن.

عاش حياة حافلة بالعلم و المعرفة، توفي سنة 386هـ، عن ستين سنة و ترك العديد من الكتب، من أهمها: رسالة القرآن في إعجاز القرآن، و تفسيره الكامل للقرآن، الذي سماه " الجامع الكبير في تفسير القرآن، وحروف المعاني و غيرها.(1)

حدد أبو الحسن الرُّماني وجوه إعجاز القرآن، فيراها تظهر في سبع جهات:

1.ترك المعارضة مع توفر الدواعي و شدة الحاجة.

2.و التحدي للكافة.

3.الصرفة.

4.البلاغة

5.الأخبار الصادقة عن الامور المستقبلية.

6.نقص العادة.

7.قياس القرآن بكل معجزة.(2)

و توسع في الحديث عن الوجه الرابع، و هو بلاغة القرآن و بيانه، حيث استغرق كلامه أكثر من أربعة أخماس الرسالة، و جعل الخمس الأخير للوجوه الستة الأخرى.

1. صلاح عبد الفتاح الخالدي إعجاز قرآني بياني. ص 85
2. الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله احمد، محمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر، ط3، ص 85.

و قد تأثر الرُّماني ببعض النقاد اليونانيين في تقسيم الأسلوب إلى ثلاثة أنواع: رفيع، متوسط و عادي، " فقسم البلاغة إلى ثلاث طبقات:

الأولى: الكلام الذي في أعلى طبقة و هو القرآن المعجز، وهذه الطبقة خاصة بالقرآن، لا يشارك فيها كلام بليغ آخر، لأنه هو الكلام الوحيد المعجز.

الثانية: الكلام الذي في الطبقة الوسطى، و هو كلام البلغاء الفصحاء من الناس.

الثالثة: الكلام الذي في أدنى طبقة و هو كلام عامة الناس ".(1)

و لا يأخذ الرُّماني قول السابقين في البلاغة، فيما ورد عن بعضهم في صور مقتضية متواترة ذكر أكثرها الجاحظ في البيان و التبيين، و منها أنهم كانوا يسألون عن البلاغة فيجيبون: " هي إفهام المعنى و تحقيق اللفظ على المعنى. لكن الرُّماني لا يرى أن البلاغة مجرد إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان، أحدهما بليغ و الآخر غبي، و ليست البلاغة تحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى، وهو غث متسكرة و تنافر متفكك" .(2) فقال " ليست البلاغة إفهام المعنى ... و لا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى... إنما البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.و أعلاها طبقة في حسن بلاغة القرآن، و أعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، و أعلى طبقات البلاغة معجز للعرب و العجم".(3)

و الصفات الأربعة الأخيرة من الرسالة تحدث فيها عن وجوه إعجاز القرآن الستة التي ذكرها، و كان حديثه عنها في منتهى الإيجاز.

و من هنا يمكن اعتبار رسالته رسالة في بيان بلاغة القرآن المعجز، لأن الشواهد التي ذكرها في شرح أقسام البلاغة شواهد من آيات القرآن.

1. د قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و إعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس- لبنان ط 1 2003 ص 451.
2. الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(85-86.)
3. المصدر نفسه. ص (86-109).

ثانياً: الباقلاني:

الإمام الباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بم محمد، المشهور بالباقلاني- او ابن الباقلاني- نسبة إلى الباقلاء، وهي الحبوب.

ولد الباقلاني في البصرة سنة 338هـ و توفي في مطلع القرن الخامس سنة 403هـ. و قد نشأ الباقلاني نشأة علمية، و نبغ في مختلف ميادين العلم، من اللغة و البلاغة و العقيدة و علم الكلام، وكان إماما من أئمة الأشاعرة المتكلمين.

و ألف الباقلاني العديد من الكتب من أشهرها: التمهيد في علم الكلام، الانتصار لنقل القرآن و هداية المرشدين في أصول الدين.(1)

و من أشهر مؤلفاته " إعجاز القرآن " و هو أول كتب الباقلاني نشرا، و أشهرها ذكرا، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم، و إن كره ذلك بعض المتعصبين على المعهد العتيق.(2)

و يرى الإمام الباقلاني أن وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ثلاث:

1. أخبار الغيب المستقبلية التي أخبر عنها القرآن قبل حدوثها.
2. أخبار الأمم الماضية و قصص السابقين، مع أميَّة الرسول صلى الله عليه و سلم.
3. نظم القرآن و أسلوبه و بلاغة بيانه.

و قد فصل الباقلاني في الوجه الثالث باعتباره أهم الوجوه في إعجاز القرآن، و أدار معظم الكتاب على شرحه و توضيحه و بيانه، و ذكر الشواهد عليه من الآيات.

و أورد عشرة معاني في توضيح هذا الوجه الأبرز و الأظهر في إعجاز القرآن:

1. صلاح عبد الفتاح خالدي. إعجاز قرآن بياني. ص91.
2. محمد رفعت أحمد زنجير مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم ص 85

أولها:

خروج القرآن من المعهود من أساليب العرب، فيقول:

و " الوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، و الذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، و نحن نفصل في ذلك بعض التفصيل، و نكشف الجملة التي أطلقوها، فالذي يشمل على بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه، منها: –ما يرجع إلى الجملة، و ذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، و تباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم، و له أسلوب يختص به، و يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد".(1)

ثم يضيف الباقلاني في ذكر بقية الوجوه، فيذكر خلق كلام العرب فيقول " و منها أنه ليس للعرب كلام مشمل على هذه الفصاحة" مما يوازي قدر القرآن بهذه الفصاحة و الغرابة و التصرف البديع و المعاني اللطيفة، و الفوائد الغزيرة، و الحكم الكثيرة، و التباين في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول و على هذا القدر".(2)

ثم يضيف الباقلاني إلى الإنسجام في الأسلوب القرآني فيقول:

" و في ذلك معنى ثالث: و هو أن عجيب نظمه و بديع تأليفه لا يتفاوت و لا يتباين، على ما ينصرف إليه من الوجوه التي ينصرف فيها، من ذكر قصص و مواعظ و احتجاج و حكم و أحكام..." (3)

و يذكر استمرار القرآن على نسق واحد من البلاغة في شتى الموضوعات و الأحوال فيقول :

" و معنى رابع : و هو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيناً في الفصل و الوصل، و العلو و النزول، و التقريب و التبعيد، و غير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ... "

---

1. الباقلاني: إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر، ص 35.
2. المرجع نفسه ص 36.
3. المرجع نفسه ص 36.

" و نبين أن القرآن على اختلاف فنونه و ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة و الطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف و المتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الاتحاد، و هذا أمر عجيب، تبينا به الفصاحة، و تظهر به البلاغة، و يخرج معه الكلام عن حد العادة، و بتجاوز العرف ".(1)

و المعنى الخامس:

" هو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كمعجز، و يقصرون دونه كقصورنا ".(2)

المعنى السادس:

و هو أن القرآن يشتمل على جميع أنواع الخطاب " فهو الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط و الاقتصار، و الجمع و التفريق، و الاستعارة و التصريح و نحو ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم، في الفصاحة و الابداع و البلاغة ".(3)

المعنى السابع:

يتمثل في ابتكار القرآن لمعان جديدة بألفاظ متميزة، و هو أصعب من استعمال الألفاظ الدارجة لمعان متداولة.

المعنى الثامن:

يتمثل بجمال الكلمة من القرآن، وتميزها على غيرها إذا أدرجت بين الكلام فيقول:

" الكلام يتبين فضله و رجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف الكلام، أ, تقذف ما بين شعر، فتأخذه الإسماع، و تتشوق إليها النفوس ... و أنت ترى الكلمة من القرآن يُمثل بها في تضاعيف كلام كثير، و هي غرة جميعه و وساطة عقده، و المنادي على نفسه بتميزه و تخصصه

1. الباقلاني: إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر، ص 38.
2. المرجع نفسه ص 38.
3. المرجع نفسه ص 42.

برونقه و جماله، و اعتراضه في حسنه و مائه" (1)

المعنى التاسع:

يتمثل في الإعجاز بالحروف المفتتح بها في أوائل السور.

المعنى العاشر:

يتمثل في سهولة الأسلوب القرآني و توسطه فيقول:

" أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المتنكرة و الغريب المستنكر، و عن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبا إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، و يسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، و هو مع ذلك ممتنع المطلب، غير المتناول"(2)

كما خص الباقلاني فصلا في وصف وجوه البلاغة " و هو في هذا الفصل ينقل عن الرُّماني دون أن يسميه فيقول ذكر بعض أهل الأدب و الكلام، أن البلاغة على عشرة أقسام:

الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و التلاؤم، و الفواصل، و التجانس، و التصريف، و التضمين و المبالغة و حسن البيان و شرح بالتفصيل لهذه الوجوه من خلال القرآن، معتمدا على ما قاله الرُّماني مكتفيا بسرد الأمثلة من دون تحليل "(3)

و يمكن أن نجمل نظرية الباقلاني في الإعجاز البياني في عدة أوجه:

1.أن القرآن الكريم جاء في قالب لم يسبق إليه، و هيئة لغوية لم يعرفها العرب.

2.القرآن الكريم على طول نصه و كثرة أخباره الدنيوية و الآخروية جاء على أعلى درجات الفصاحة و التناسب في البلاغة.

3.عدم التفاوت في الدرجة الفنية بين آياته.

1. الباقلاني: إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر، ص (42-43).
2. المرجع نفسه ص 46.
3. محمد رفعت أحمد زنجير مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم ص (98-99).

4.اشتمال القرآن الكريم على الصور الفنية المعروفة عند العرب من إيجاز و إطناب و حقيقة و مجاز، و غير ذلك من الخصائص التي عرفت باسم البديع و المعاني و البيان في اصطلاح علماء البلاغة.

5. أن القرآن الكريم خارج عن الوحشي و المتنكرة و الغريب و المستنكر و عن الصنعة و التكلف.

ثالثاً: عبد القاهر الجرجاني:

" الجرجاني هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، توفي في بغداد سنة 482هـ، و ليس له ترجمة مشهورة، رغم مكانته العلمية المتفق عليها بين العلماء.

و هو أديب بليغ، و شاعر فصيح كما أنه فقيه على المذهب الشافعي، و متكلم على المذهب الأشعري ".(1)

و الإمام عبد القاهر هو واضح أصول علم البلاغة العربية، و مفصل القول في نظرية النظم القرآني المعجز.

و" قد ترك عبد القاهر بعض الدراسات البلاغية، منها: أسرار البلاغة، و دلائل الإعجاز و الرسالة الشافية في إعجاز القرآن و الجمل في النحو " (2).

و قيل أنه ألف خمسة من الكتب في إعجاز القرآن و هي:

1.المقتضب في شرح كتاب الواسطي في الإعجاز.

2.المعتضد في شرح كتاب الواسطي السابق، فالأول مختصر و الثاني مطول، و الشرحان السابقان مفقودان و أصلهما –كتاب الواسطي– مفقودا أيضاً.

3.الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، وهي رسالة مختصرة، كتبها الإمام عبد القاهر ليثبت بها حقيقة الإعجاز، لا ليبين أسراره، و ليرد على المعتزلة الذين ذهبوا إلى القول بأن القرآن معجز بالصرفة، و قد نقص في رسالته القول بالصرفة.

4.أسرار البلاغة: لم يختص عبد القاهر هذا الكتاب للحديث عن الإعجاز، و إنما تحدث فيه عن البلاغة و وجوهها و أساليب و كيفية نظمها و تذوقها، لكن حديثه فيه عن الإعجاز البياني و نظم القرآن واضح.

1. صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص 93.
2. المرجع نفسه ص 94.

5.دلائل الإعجاز، و فصل فيه القول بنظرية " النظم القرآني " و شرحها و ناقش فيها، و عرض الأمثلة و النماذج عليها.(1)

عد الجرجاني البلاغة وجها بارزا في إعجاز القرآن الكريم، و رأيه هذا واضح في قوله " ... ثم إنه اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن إلى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة و البلاغة" (2)

غير أنه لم يرجع بلاغة القرآن الكريم إلى معاني كلماته المفردة و لا إلى موازنة كلمات القرآن بكلمات العرب، و لا إلى اشتماله على الألوان البديعية مثلما فعل الباقلاني و إنما رأى " الإعجاز يتحقق في النظم و التأليف، و ليس النظم – عنده– شيئا غير توخي معاني النحو، لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة و الكناية و التمثيل و سائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم و عنها يحدث و بها يكون".(3)

الجرجاني يستبعد ست احتمالات حول الإعجاز:

لما جاء عبد القاهر الجرجاني وجد الأدباء و العلماء منقسمين حول اللفظ و المعنى:

فمنهم من غالوا في الانتصار للفظ على المعنى، و جعلوا البلاغة مقصورة على اللفظ، و منهم من غالوا في الانتصار للمعنى على اللفظ، فأسقطوا دور اللفظ في البلاغة.

فجمع عبد القاهر بين الفريقين، و نادى باعتماد قيمة النظم التي تجمع بين اللفظ و المعنى، و تضيف لهما النظم، و تجعل الجميع عناصر أساسية في البلاغة.

يتساءل عبد القاهر في كتابه المذكور عن وجه الإعجاز، و يورد في ذلك سبعة احتمالات، يبطل ستة منها، و يعتمد الاحتمال السابع، و يراه هو الوجه المعتمد في الإعجاز:

1. صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص 93–94.
2. عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز– صفح أصله الشيخ محمد عبده و الشيخ محمد محمود الشنقيطي. دار الكتب العلمية– ط1بيروت1988 ص453
3. حورية عبيب. أساليب الحقيقة و المجاز في القرآن الكريم.(سورة الكهف نموذجا) دار طليطلة للنشر و التوزيع، ط 2، 2012، ص 36.

1.ليس الإعجاز في الكلمات من حيث حروفها:

لأنه من المستحيل أن يكون لحروف الكلمتان صفتان: صفة لها و هي خارج القرآن، و هي عادية مقدور عليها، و صفة لها و هي داخل القرن، تكون فيها معجزة غير مقدور عليها !

2.و ليس الإعجاز أيضا في معاني كلمات القرآن التي لها بوضع اللغة، لأنه من المستحيل أن تتجدد لمعاني كلمات القرآن صفات لغوية جديدة معجزة.

3.و ليس الإعجاز في تركيب الحركات و السكنات على كلمات القرآن، فلم يكن المطلوب من الكافرين الإتيان بكلمات على وزن كلمات القرآن في حركاتها و سكناتها و تصاريفها. و قد نسب لمسيلمة الكذاب أنه قال كلاما على وزن سورة العاديات، و ما قال أحد: إنه بهذا الكلام السخيف تمكن من معارضة القرآن.

4.و ليس الإعجاز في المقاطع و الفواصل في جمل القرآن، لأن هذا يعتمد على الوزن وحده، و كثيرا ما كان الشعراء يعارض بعضهم بعضا في أشعارهم، فيأتون بكلام على نفس البحر و الوزن والقافية.

5.و ليس الإعجاز في خفة حروف القرآن على اللسان، لأن كثيرا من حروف كلمات البشر خفيفة على اللسان. و هناك حروف قرآنية ظاهرها ثقيل على اللسان، مثل حروف "اثَّاقلتم"، و حروف كلمة "أَنُلْزِمَكُمُوهَا"

6.و ليس الإعجاز في آيات القرآن التي فيها "استعارة"، لأن الآيات التي فيها استعارة معدودة، و معنى هذا نفي الإعجاز عن الآيات الكثيرة التي ليس فيها استعارة.(1)

1. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص(385-393)

الإعجاز عند الجرجاني في النظم فقط:

و بعد أن أبطل الإمام عبد القاهر أن يكون الإعجاز في أحد الاحتمالات السابقة قرر أن الإعجاز إنما هو في نظم القرآن.

و النظم هو: حسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كل كلمة في محلّها المناسب لها. و هو يقوم على معاني النحو و البلاغة.(1)

إنَّ خلاصة نظرية النظم القرآني المعجز عند عبد القاهر في هذه الفقرات الكاشفة الهادية، التي نتركه يتحدث لنا فيها عن معنى النَّظْمِ و حقيقته:

" و اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكَلِم و لا ترتيب، حتَّى يعلُّقَ بعضها على بعض، و يُبْنى بعضها على بعض، و تُجعلَ هذه بسبب من تلك ... هذا ما لا يَجهلُه عاقل، و لا يخفى على أحد من الناس.

و إذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها و البناء، و جَعْلِ الوحدة منها بسببٍ من صاحبتها، ما معناه و ما محصولُه؟

و إذا نظرنا في ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم، فتجعلَه فاعلا لفعل أو مفعولاً... أو تعمد ألى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تُتْبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه ... أو تجيء باسم بعد كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً ... أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك... أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد إسم من الأسماء التي ضُمِّنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس.

1. انظر صلاح عبد الفتاح الخالدي. إعجاز القرآن البياني. ص94-95.

و إذا كان لا يكون في الكلمِ نَظْمَ و لا ترتيب إلا بأن يَصنع بهذا الصنيع و نحوه، و كان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، و مما لا يتصور أن يكون فيه و من صفته، بان بذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تَبَعٌ للمعنى في النَّظمِ، و أن الكلم تَتَرَتَّبَ في النطق بسبب تَرتُّب معانيها في النفس ... و أنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا و أصداء حروف، لما وقع في ضمير و لا هَجس في خاطر، أن يَجب فيها ترتيب و نظم، و أن يُجّعل لها أمكنة و منازل، و أن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك ... و الله الموفق للصواب"(1)

و مما تقدم نلخص إلى أن إعجاز القرآن عند عبد القاهر هو في نَظْمه و تأليفه، و النَّظْمُ هو توخي معاني النحو و أحكامه فيما بين الجمل و الكلمات، و كل كتاَب " دلائل الإعجاز " لتوضيح هذه النظرية.

و بذلك يكون قد كشف عن توجه جديد في دراسة النظم في القرآن الكريم، كاشفا عن خصائص الإعجاز فيه القائمة على فصاحة اللفظ و حسن المعنى.

أما الخطابي فقد تحدث أيضا عن الجانب البلاغي في رسالته " بيان إعجاز القرآن " سر الإعجاز راجع إلى بلاغة القرآن و هذا ما سنحاول الكشف عنه في الفصل الثالث إن شاء الله.

1. عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز – ص (55–56).

الفصل الثالث

المبحث الأول: مؤثرات ثقافية في حياة الخطابي:

1.ترجمة الشخصية:

هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي.

و" لقد ورد خلاف في ضبط اسمه – رحمه الله – فمنهم من سماه: حمد بفتح الحاء المهملة و سكون الميم. و منهم من سماه: أحمد بإثبات الهمزة ، و منهم من ذكر كلا الاسمين فتارة يقدم الأول و تارة يقدم الثاني، و الصواب في اسمه حمد، كما قال الجَمُّ الغفير"(1).

حتى أن الخطابي نفسه نص على ذلك فقال: " اسمي الذي سميت به حَمْد، و لكن الناس كتبوا أحمد، فاركته عليه "(2).

و ذكرت المصادر، أن كنيته– أبو سليمان – و هي المتفق عليها عند المؤرخين، و " اتفقت كلمة المؤرخين كذلك على أن لقب الإمام و نسبته التي يعرف بها هي الخطابي"(3).

---

1. محمد بن أحمد عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط9، 1413 ج17 ص23.
2. أبو العياش شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان: تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر –لبنان– مجلد 2، ص 215.
3. ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ج 1 –ط1 – 1993– ص 364.

2. نسبته:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن لقب الإمام و نسبته التي يعرف بها هي الخطابي. و لكن اختلفوا في تفسير هذه النسبة إذ أن " هذه النسبة قد تطلق للانتساب بسيدنا عمر بن الخطاب و أخيه زيد بن الخطاب، و هي محل خلاف فلا يمكن الجزم بها، لأنه لا يوجد دليل يؤكدها، و قد تطلق إلى اسم جدة خطاب أو الخطاب، و هذا متفق عليه إذ أن أبا جده خطاب "(1).

و قد ولد الإمام الجليل الخطابي في " مدينة (بست) كابل من بلاد الأفغان، و كان ذلك في العقد الثاني من القرن الرابع الهجري، و مدينة (بست) في المرتية الثانية من حيث حجمها في مدن سجستان في ذلك العصر، و لقد تم فتحها في أيام الخليفة العادل عمر بن الخطاب و ذلك في عام 23هـ"(2).

و مدينة (بست) بلدة وصفت بأنها حسنة كثيرة الأنهار و الخضر، و هي من البلاد الحارة، وسئل بعض الفضلاء عنها فقال كتثنيتها(يعني بستان) و قد أنجبت هذه المدينة علماء أفذاذ من ألمعهم إمامنا الخطابي البستي أبو سليمان.

" ولد الإمام في سنة 319هـ، وقيل أنه ولد في سنة 317هـ و هو ضعيف، و الرجح الأول و ذلك لكون أكثر من ترجم له ذهب إلى ذلك و منهم ياقوت الحموي، و عبد القادر البغدادي، و ذكر ياقوت أنه ولد في شهر رجب من هذه السنة المذكورة "(3).

1. مصطفى عمار محمد منا: الإمام الخطابي و أثره في علوم الحديث، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تحت إشراف: محمود عباس عبيدات – 1410– جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ص 85.
2. المرجع نفسه ص 86.
3. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ص 95.

3.نشأته و طلبه للعلم:

لم تذكر المصادر التاريخية و كتب التراجم شيئا عن نشأة الخطابي –رحمه الله– و لا عن طفولته، إلا أن ما آل إليه حاله فيما بعد شاع بأنه نشأ في بيت علم و تقوى، و أنه محبا للعلم مجتهدا في تحصيله من كل سبيل، و قد رحل –رحمه الله– في طلب العلم، و " سمع من: أبي سعيد بن الأعرابي بمكة،

و من اسماعيل بن محمد الصفار و طبقته ببغداد، و من أبي بكر بن داسة و غيره بالبصرة، و من أبي العباس الأصم، و عدة بنيسابور.

حدث عنه: أبو عبد الحاكم و هو من أقرانه في السن و السند، و الإمام أبو حامد الإسفراييني، و أبو ذر الهروي، و غيرهم." (1)

4.صفاته و ثناء العلماء عليه:

تميز الخطابي–رحمه الله– بحرصه على علم الحديث و لا سيما بيان معاني الأحاديث و ظهر اهتمامه بشرح الأحاديث و مؤلفاته تدل على ذلك دلالة ظاهرة، و " كان أديبا من علماء اللغة فقد ترجم له الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور و قال فيه الأديب، و قال: أقام عندنا بنيسابور سنين و حث بها و كثرت الفوائد من علومه " (2) و له ترجمة في معجم الأدباء.

قال أبو طاهر السلفي: " و أما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، و اطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته و ديانته فيما يورده و أمانته، و كان قد رحل في الحديث و قراءة العلوم، و طوف، ثم ألف في فنون من العلم، و صنف، و في شيوخه كثرة، و كذلك في تصانيفه "(3).

---

1. محمد بن أحمد عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 17، ص (24–25).

2. مصطفى عمار محمد منا: الإمام الخطابي و أثره في علوم الحديث ص 86.
3. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 17 ص 25.

و قال السمعاني: إمام فاضل كبير الشأن، جليل القدر، صاحب القدر، صاحب التصانيف الحسنة.و قال الذهبي: الإمام العلامة، الحافظ اللغوي.(1)

5.آثاره العلمية:

ألف الخطابي مجموعة من الكتب منها: " معالم السنن شرح سنن أبي داوود، و أعلام السنن شرح صحيح البخاري، و إصلاح خطأ المحدثين، وغريب الحديث، و شرح أسماء الله الحسنى، و شأن الدعاء، و العزلة و هذه الكتب مطبوعة.

و له كتابان يتعلقان بالقرآن: معالم التنزيل، و هو غير مطبوع. و الثاني رسالة بيان إعجاز القرآن من أوائل الرسائل المؤلفة في إعجاز القرآن "(2).

6.شيوخه:

سار الإمام الخطابي في الرواية عن شيوخه على طريقتين:

1. التصريح 2. الإبهام.

أما الأول: فقد تُتبِعت أسماء من صرح بالرواية عنهم في كتبه الموجودة، و هي: غريب الحديث، و أعلام الحديث، و معالم السنن، و شأن الدعاء، و العزلة و بيان إعجاز القرآن.

لكن الصعوبة التي يجدها من يبحث في رجال القرن الرابع، فلا نجد إلا ترجمة عدد قليل من شيوخه.

أما الثاني: و هو الإبهام و فيه يكون التحدث عن من أبهم أسماءهم من شيوخه.

1.في الشيوخ الذين صرح بأسمائهم و نذكر على سبيل المثال: " ابراهيم بن إدريس بن حفص أبو إسحاق النحوي التمار غلام ابن الأنباري،ابراهيم بن عبد الله بن إسحاق أبو إسحاق الأصبهاني العدل المعروف بالقصار، ابراهيم بن عبد الرحيم العنبري، أحمد بن أبي ذر، أحمد بن

الخواري أبو بكر، اسماعيل بن راشد، الحسن بن عبد الرحيم، أبو رجاء الغنوي، طاهر بن محمد و غيرهم "(3).

1. المرجع السابق، ص 26.
2. صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ص 88.
3. مصطفى عمار محمد منا: الإمام الخطابي و أثره في علوم الحديث ص (90-97).

2.في الشيوخ الذين أبهم أسماءهم: أبهم الخطابي عدد من شيوخه في كتبه التالية: غريب الحديث، معالم السنن، العزلة.

و قد اختلفت عباراته من موضع إلى آخر، و أهم المصطلحات:

- أخبرني او حدثني بعض أصحابنا.
- غير واحد من أصحابنا.
- الثقة من أصحابنا.
- حدثني مخبر.
- رجل فاضل من أهل زماننا(1).

1. المرجع السابق، ص 98.

7.تلاميذه:

سمع من الإمام الخطابي عدد من الأئمة و الحفاظ منهم:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمودية بن نعيم الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، روى عنه في خراسان، توفي سنة 405هـ. اشهر كتبه المستدرك.

و أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، صاحب كتاب السياق لتاريخ نيسابور. روى عن الإمام الخطابي كتاب غريب الحديث.

أبو محمد جعفر بن محمد بن علي المجاور(1)، روى عنه بالحجاز، و من جملة ما روى عنه كتاب العزلة.

و غيرهم ممن تتلمذ على يد الإمام الخطابي.

8.وفاته:

فقد توفي الإمام الخطابي بعد حياة حافلة بالعلم و الأدب و الترحال في الطلب في (بست) سنة 388هـ في شهر ربيع الأخر، و قيل أنه توفي (ببست) في رباط على شاطئ (هند مند) يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الأخر (2).

1. ياقوت الحموي: معجم الأدباء – ص 253.
2. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 96.

المبحث الثاني: الخطابي و بلاغة الإعجاز:

يقرر الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن بدءا أمرين اثنين باعتبارهما مسلمين :

(أ)–إعجاز القرآن: حقيقة لا جدال فيها ولا ريب البتة ، وهي قائمة فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا أدل على ذلك من " عجز العرب الفصحاء الأقحاح المعروفين بالجدل واللدد والعقل، الذين نزل القرآن بلغتهم ، فسباهم ببلاغته، وبهرهم بحسن نظمه ، فلم يستطيعوا معارضته ومجاراته ، رغم توفر الدواعي إلى ذلك ، وحبهم التفوق والانتصار على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإضعافه أمام الناس" (1)

(ب)–سبب اختلاف الناس في وجه الإعجاز : مرجعه إلى تعذر معرفة ذلك حقيق ة (2) "لأنه ليس مما يواجه النظر ، أو يقع في مجاله ، وإنما هو مما يستشعر بالقلب استشعارا ويلمح بالبصيرة لمحا " (3)

وقد حاول العلماء قديما معرفة وجه إعجاز القرآن ، وبماذا وقع ، وشرقوا وغربوا ، وسنقف فيما يلي على أهم الأقوال في الإعجاز وآراء الخطابي حولها في رسالته:

1) البلاغة وجها للإعجاز :

يتناول الخطابي الأوجه غير البلاغية التي قال بها بعض العلماء قبله في أول كتابه ، لكنه لا يعرضها بالتفصيل والمناقشة بل بإيجاز ، فجل اهتمامه كان منصرفا إلى الوجه البلاغي في الإعجاز، وسنناقش هذا الوجه من خلال عنصرين:

أ/ غموض مفهوم البلاغة:

ذهب كثير من أهل النظر إلى أن " البلاغة هي وجه إعجاز القرآن المرضي ، ولكنهم يتعثرون عندما يريدون تبيان كيفيتها ، فيعرض لهم الإشكال ويصعب عليهم منه الانفصال كما يقول الخطابي" (4)

1. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول إسلام، دار المعارف بمصر، ط 3، 1976.
2. المصدر نفسه ص 21.
3. عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط1، 1974، ص 182.
4. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 24.

وفى ذلك إشارة بل تصريح منه بغموض البلاغة ومفهومها فى تراث من سبقه من العلماء ، وهذا التصريح يعد أول من أشار إليه الخطابي وذلك " أن المعرفة البلاغية عندهم معرفة مبهمة ، لم يصاحبها الكثير من البسط والشرح ، سواء أكان السبب فى ذلك بلوغ الجيل السابق مرتبة عالية فى التذوق البلاغي لم يكن يحتاج معها إلى هذا البسط والشرح فيكتفى فيها بتلك الإشارات واللمحات التى تتضمن فى باطنها وعيا بلاغيا يكون صدوره من قبل الناقد المتذوق مفهوما لدى من سمعه ، أم كانت هناك أسباب أخرى غابت عنا فى غياب ظروف ثقافية وفكرية ربما رافقت ذلك الجيل ولم تصلنا تفاصيله بشكل متكامل " (1) وبعد الخطابي تردد هذا القول بغموض مفهوم البلاغة على ألسنة علماء بارزين أمثال عبد القاهر الجرجاني الذى يقول " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء فى معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وفى بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء والإشارة فى خفاء ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيئ ليطلب ، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج ، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه ، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها "(2)، إذا الجرجاني

يشارك الخطابي الفكرة نفسها ، ويسعى إلى الكشف عن باطن العلة ، وعوامل الإعجاز كما سعى الخطابي من قبل، فالسابقون لم يحددوا ما ذا يقصدون بالبلاغة باعتبارها وجها للإعجاز ، ولا بلاغة البشر والمدى الذى تصل إليه ، ولا بلاغة القرآن المختصة به ، هم بالطبع كانوا يشعرون بتمايز البلاغتين ، ومباينة بلاغة القرآن غيرها من بلاغات البشر ، ولذلك كانوا يقولون " وقد يخفى سببه عند البحث ، ويظهر أثره فى النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم " (3).

1. محمود محمد شاعر أبو فهد: مدخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني و دار المدني بجدة، ص 81.
2. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: تحقيق محمد شاكر أبوفهر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ص 39.
3. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 24.

ويقولون أيضا " وقد توجد لبعض الكلام عذوبة فى السمع ، وهشاشة فى النفس لا يوجد مثلها لغيره منه، والكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة " (1) تلك أقوال لم تقنع الخطابي لأنها لا تلامس حقيقة البلاغة القرآنية ، ووجه الإعجاز فيه ، وإنما غايتها ترجمة ووصف بلاغة القرآن وأثرها فى النفس عند سماعه ، فانبرى يبحث فى باطن العلة ، وأسرار الجمال ودلائله ، وسنقف على رؤيته لذلك فى العنصر التالى .

ب/ أوجه التباين بين بلاغة القرآن وبلاغات البشر:

التباين بين بلاغة القرآن والبلاغات البشرية كان مرتكزا للخطابي فى تحديده لوجه الإعجاز البلاغي، فوقف مع طريقة تأليف المختلف وعناصر البلاغة وأعمدتها من اللفظ والمعنى والنظم ، وتميز القرآن فى ذلك وبلوغه الغاية فى الجمال والبراعة وحسن التخير للأحسن والأفضل .

ب/ 1- إمتزاج المختلف من أسرار البلاغة القرآنية:

بلاغة القرآن التى هي وجه إعجازه عند الأكثرين يستشعر الجميع مباينتها للبلاغات البشرية فى كافة تجلياتها وتشكلاتها ، وليس مثل هذا القول ببدع على الدراسات الإعجازية قبل الخطابي إلا أنها صارت لديه " مرتكزا فى التفكير النظر البلاغي ، أي أنها لم تكن مجرد مسلمة يؤمن بها

فحسب ، بل أصبحت عاملا مؤثرا أسس عليه كثيرا من قضايا بناء المنهج البلاغي لديه فى النظر إلى الإعجاز القرآني ، فكانت نظراته المنهجية فى بحث هذه القضية منطلقة من هذه الفكرة تلمح دورها الفاعل فى طريقة بحثه ونتائجه التى توصل إليها " (2)

1. المصدر السابق ص 24.
2. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز أطروحة دكتوراه، إشراف محمود توفيق محمد سعد، جامعة أم القرى بالسعودية، سنة 1428–1929– ص 151.

إن الخطابي بعد قراءاته الواسعة ، ونظراته الثاقبة ، وتأملاته الفاحصة فى كلام العرب شعريه ونثريه على حد سواء ، وبعد النظر فى القرآن الكريم وأسلوبه ونظمه وتأليفه استطاع أن ينفذ إلى العلة وباطنها ، ويكشف عن مكمن الجمال وسببه ، وتميز بلاغة القرآن وتفوقها مبينا أن ذلك عائد إلى أن "أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها فى نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها فى البلاغة غير متساوية ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرسل ، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود ، دون النوع الهجين المذموم الذى لا يوجد فى القرآن شيء منه البتة ، فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثانى أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه ، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأنماط نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعا من الوعورة ، فكان اجتماع الأمرين فى

نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن ، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره لتكون آية بينة لنبيه ، ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه "(1).

يكشف هذا النص للخطابي أن " بلاغة البلاغة البشرية من صفاتها اللازمة التفاوت فى البيان ،فليس فى مقدور أبلغ البلغاء من البشر أن يكون أسلوبه عذبا رقراقا دائما ، ولا جزلا فخما دائما ، ولا رسلا طلقا ، ولا أن يمزج بين هذه المختلفات ، ويرجع د /أبو موسى ذلك إلى أنها نتاج أحوال نفسية مختلفة ، ولذلك وجب فيها ذلك " (2) إنه تجل من تجليات الضعف البشري وقصور إمكانياته، مهما علا كعبه وتسامق فهو يتحرك فى هذا الإطار الحاكم من نقص وعجز أصيل عن بلوغ بلاغة القرآن المنزل من لدن حكيم خبير القادر على كل شيء .

1. الخطابي:بيان إعجاز القرآن، ص 26.
2. محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي، دراسة تطبيقية لتراث أهل العلم، مكتبة الوهبة، ط2، 1979، ص 47.

" إن المزج بين المتضادات والتأليف بينها بلاغة اختصت بالقرآن ، وهذا لا يعنى أننا نجد آية عذبة رقيقة ، وأخرى فخمة جزلة ، وإنما هو امتزاج وتأليف ، ونمط من الكلام متفرد فى جمعه بين المتضاد من العذب والفخم والطلق الرسل " (1)، و" الخطابي رغم وضوح الفكرة لديه لم يعطنا نصوصا تطبيقية يبين فيها كيف يتم التأليف بين المختلفات فى البلاغة القرآنية ، وكيف تنتظم وتتسق ، فتباين البلاغة البشرية ، وتعجز فصحاء الأدباء ومصاقع البلغاء "(2).

ب/ 2- عناصر البلاغة القرآنية:

عناصر البلاغة كانت جزءا من التفكير الذى انبثق عن فكرة المباينة للبلاغة البشرية ، أبان من خلالها الخطابي عن وعي بلاغي متميز ، وهي عنده ثلاثة أشياء هي : اللفظ والمعنى والنظم ، ومن مكامن الإعجاز فيها أنها " لا توجد مجتمعة فى نوع واحد من الكلام إلا فى كلام العليم القدير ، الذى أحاط بكل شيئ علما، وأحصى كل شيئ عددا " (3) ، ومن ثم تباين فى حسن ألفاظها، وجودة معانيها ، وجمال نظمها ، البلاغة البشرية ، ومنشأ ذلك " أن البشر لا يحيطون

علما بجميع أسماء العربية وألفاظها ، التى هي ظروف المعانى والحوامل لها ، ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض " (4)، ومن ثم فالبشر جميع البشر عاجز عن الإتيان بمثله ،وخاضعون لسلطان بلاغته فى جميع جوانبها ، وسنقف مع هذه العناصر واحدا تلو الواحد ، مبينين نظرة الخطابي إليها ، ودورها فى بلاغة الإعجاز.

1. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج في نيل الخطاب عند علماء الإعجاز – ص 153.
2. المرجع نفسه ص 154.
3. الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص 27.
4. المصدر نفسه، ص 27.

(أ)– اللفظ:

قد حظي هذا العنصر بحظ وافر من حديث الخطابي ، معتبرا إياه ركنا ركينا من أركان البلاغة ، فتحدث عن الفروق الدلالية بين الألفاظ ودورها فى اقتناص المعانى والدلالات بدقة متناهية ، ومن هنا تلتزم "البلاغة العالية " بتخير اللفظ أحسن تخير ، ووضعه فى المكان الأنسب الأشكل به ، وعندما لا يراعى هذا التخير يحصل التنافر ، وغياب الدقة فى إيصال المعنى كما هو ، مما يعنى " تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، أو ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة وذهاب الرونق "(1) والمقصود بتبدل المعنى هنا تبدل " المعنى فى الصورة الذهنية أي المعنى العقلي ، وليس المعنى البياني ، إذ لا يتصور حصول خلل فى المعنى الدلالي بالمفهوم الأخير دون أن يؤدى ذلك إلى سقوط البلاغة وذهاب الرونق "(2). وعند التأمل فى بحث الفروق الدلالية بين الألفاظ نجد أن الخطابي يتعامل تارة مع اللفظ بعقلية اللغوي الذى لا يهمه إلا الفروق الدلالية بين الألفاظ قبل أن تنتظم فى سياق وتركيب ، أي المعنى فى المعجم ، وتارة

يتعامل معه بعقلية البلاغي الذى يبحث عن الجمال وأدبية التعبير ، فينظر إليها باعتبارها منتظمة فى سياق ، وعضوا فى منظومة تركيبية تشكل النص وتبنيه ، ومن ثم يبحث هل وقعت موقعها الأنسب ، ثم ما هي الألفاظ التى تشترك معها فى الحقل الدلالي نفسه ، وعدل عنها لغاية بلاغية جمالية ، وسنأتى بمثالين على العقليتين اللغوية والبلاغية ، مثال الأولى تمييزه بين لفظي العلم والمعرفة وغيرها من المشتركات فى المعنى العام ،كالحمد والشكر والبخل والشح ، يقول الخطابي " تقول عرفت الشيئ وعلمته إذا أردت الإثبات الذى يرتفع معه الجهل ، إلا أن قولك عرفت يقتضى مفعولا واحدا ، كقولك عرفت زيدا ، وعلمت يقتضى مفعولين كقولك علمت زيدا عاملا ، ولذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصا فى توحيد الله تعالى ، وإثبات ذاته ، فتقول عرفت الله ، ولا تقول علمت الله ، إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات ، فتقول علمت الله عدلا ، وعلمته قادرا" (3).

1. الخطابي :بيان إعجاز القرآن ، ص 29.
2. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج التحليل البلاغي ص 157.
3. الخطابي :بيان إعجاز القرآن ،ص 29.

يظهر من خلال هذا التناول العقل اللغوي للخطابى ، ومثال الثانية قوله تعالى (فأكله الذئب) إذ يظهر فى توجيهه لاستعمال لفظة "فأكله " ردا على الطاعنين فيها الذين قالوا إن لفظ الأكل لا يسند للذئب ، وإنما يسند إليه افترس ،بعد بلاغي متميز ، و مراعاة للسياق بينة يقول " فإن الافتراس معناه فى فعل السبع القتل فحسب " (1) ومن ثم فإنها لا تؤدى المعنى الدقيق الذى أراد أبناء يعقوب عليه السلام إبلاغه له ، فهم " إنما ادعوا أن الذئب أكله أكلا ، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلا ولا عظما ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم بأثر باق منه يشهد ما ذكروه ، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطى تمام هذا المعنى ، فلم يصلح أن يعبر عنه بالأكل (2) ففى هذا التناول للآية أو لاستعمال لفظ الأكل بدل الفرس كشف لخصوصية اللفظة القرآنية فى إصابتها المعنى بدقة متناهية ، وفى تشاكلها مع

سياقها ومناسبتها له ، هذا مع أنه أورد شواهد شعرية على هذا الإسناد ، " واهتمام الخطابي بالفروق الدلالية وتخير اللفظ وتلاؤمه مع الكلمات واتساقه إنما يريد من خلاله أن يقول إن ذلك لم يتوفر على أحسن وجه وأتم صورة كما توفر فى النص القرآني الكريم"(3).

1. بيان إعجاز القرآن الخطابي، ص 41.
2. المرجع نفسه ص 29.
3. محمد محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي، ص 49.

(ب) المعنى:

إن المعنى لدى الخطابي عنصر من عناصر البلاغة التى يقوم الكلام بمجموعها ، ويستمد إعجازه من خلالها ، ولا ينظر الخطابي إلى المعنى منعزلا عن اللفظ –إن كان ذلك متصورا– ولا يقيم صراعا بين اللفظ والمعنى ، وإلى أيهما يرجع فضل الكلام وقيمته البلاغية ، إن المعنى فى تصوره منصهر مع اللفظ ممتزج به امتزاج الروح بالجسد ،إذا هناك تلازم بين اللفظ والمعنى،"فاللفظ حامل والمعنى به قائم" (1).

" واللفظ جاء على أفصح ما يكون، مضمنا أصح المعانى فى أحسن نظوم التأليف "(2)،ولئن كانت العلاقة بين اللفظ والمعنى بهذا الشكل الذى أبان عنه الخطابي كانت سائدة فى الدرس

البلاغي قبله إلا أنه " يربط بين المعنى من جهة والعقل والفهم والفكر من جهة أخرى ، مما يجعلنا نقول إنه يدرك المعنى إدراكا خاصا "(3)،يقول الخطابي " فأما المعانى التى تحملها الألفاظ فالأمر فى معاناتها أشد ، لأنها نتاج العقول وولائد الأفهام وبنات الأفكار " (4) ونستنتج من هذا الكلام " أن المعنى عند الخطابي قائم على أساس عقلي ، فالمعنى نتاج العقل ، ودال على أن الكلام الجدير بالنظر هو الذى يحمل معاني قد عمل العقل فى إجهادها ولم تكن عفو الخاطر، بل هي نتائج وولائد وبنات، ومثل ذلك لا يكون إلا بعد تلقيح وحمل مديد ومعاناة" (5). ومن ميزات المعنى فى القرآن الكريم أنه "متخير غاية التخير ، لا يرى شي ء أولى منه ، ولا يرى فى صورة العقل أمر أليق منه "(6) فكل هذا يكشف عن قيمة المعانى فى التشكيل البلاغي لدى الخطابي ، وذلك أنها "هي التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها"(7).

1. الخطابي بيان إعجاز القرآن ، ص 27.
2. المصدر نفسه ص 27.
3. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، ص 170.
4. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ، ص 36.
5. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، ص 171.
6. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ، ص 27.
7. المصدر نفسه ص 36.

(ج) النظم:

لم يتناول الخطابي هذا العنصر بالتفصيل ، ولكن نجد فى كتابه هذا إضاءات هامة لمفهوم هذا المصطلح عنده ، والذى تجدر الإشارة إلى أنه كان مصطلحا معروفا لدى من قبله بشكل واسع ، حتى إن أحد كتب الجاحظ عنونه ب" نظم القرآن" والذى يهمنا الآن ما هو النظم عند الخطابي ، إن النظم عنده طريقة فى تأليف الألفاظ فيما بينها ، وكذلك المعانى إذ هو "لجام الألفاظ وزمام المعانى وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعض ، فتقوم له صورة فى النفس يتشكل مها البيان " (1) ونظم القرآن لا يمكن أن يسامى أو يجارى فهو فى المرتبة من النظوم

" لا يرى نظم أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا منه "(2) وهو معجز للناس إذ لا أحد منهم يمكن مهما بلغ من الفصاحة والبلاغة والبراعة أن يحيط علما "بجميع وجوه النظم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض "(3) فيكون بسبب ذلك ذا قدرة على التصرف فيها والتخير للأحسن والأفضل.

1. الخطابي بيان إعجاز القرآن ، ص 36.
2. المصدر نفسه ص 27.
3. المصدر نفسه ص 27.
4. المصدر نفسه ص 28.

و يعد كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي من أهم كتب الإعجاز، لأنه يمثل رأي أهل الحديث في الإعجاز. و يعتبر الخطابي من الأوائل الذين لمحوا إلى فكرة النظم و الذين عنوا بقضية الإعجاز البياني في القرآن(1).

فقد ذهب ألى أن الكلام يقوم بثلاث عناصر:

1.لفظ حامل:

و هذا اعتمادٌ منه لدور اللفظ في البلاغة، لكنه جزء من كل، و ليس كل شيء، فاللفظ البليغ لا بد أن يكون حاملا للمعنى.

2.معنى به قائم:

و هذا اعتماد منه لدور المعنى في البلاغة، لكنه ليس كل شيء، فالمهنى البليغ لا بد أن يكون قائما باللفظ البليغ.

3.رباط لهما ناظم:

و هذا اعتماد منه للربط بين اللفظ و المعنى، أو ما يسمى " بالنظم "، و هو جزء من كل، و ليس كل شيء.

إن الإمام الخطابي بهذا التحديد لعناصر البلاغة في الكلام يقرر نظرية " النظم القرآني "، و هي النظرية التي فصَّلها الإمام عبد القاهر الجرجاني بعد ذلك. و لقد سبق الخطابي الجرجاني في القول بالنظم، و لكن كان للجرجاني فضل التفصيل و البيان و الشرح. كما أن الجرجاني كان يعتمد على

ذوقه في حديثه عن إعجاز القرآن، و عرضه لموقف البلاغيين، وكيف أنهم انشغلوا بقضية اللفظ

1.أحمد سيد محمد عمار: نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم – دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان و دار الفكر دمشق سوريا، ط1–1998– ص 130.

و المعنى، حتى وصلوا في التقسيم و التبويب إلى درجة من التعقيد لا تطاق، و سبب اعتماده في الإعجاز القرآني على الذوق هو تذوقه، النص القرآني، و تفاعله و التأثر به تأثرا واضحا.

و يحدد الأمام الخطابي إعجاز القرآن – القائم على اللفظ و المعنى و النظم – بهذه الفقرة المجملة الكاشفة:

" و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة: حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح و لا أزجل و لا أعذب من ألفاظه. و لا ترى نَظْماً أحسن تأليفا و أشد تلاؤماً و تبث أعلا من نظمه، و أما المعاني فلا خفاء عللا ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، و الترقي إلى أعلى درجات الفصل من نعوتها و صفاتها.

و قد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، أما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيئا علما و أحصى كل شيء عددا.

فتفهم الآن و أعلم: إن القرآن إنما صار معجز، لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمن، أصح المعاني ..." (1)

1.الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص 28.

2) أوجه الإعجاز غير البلاغية:

تحدث الخطابي عن بعض الوجوه التي قال بها البلاغيين في الإعجاز و هي:

أولاً:

ناقش فيه بعض الوجوه غير المقبولة في الإعجاز. و من الوجوه في الإعجاز التي لم يقبلها الإعجاز بالصرفة. و معناها:" أن الله جعل هذا القرآن معجزا بصرف الهمم عن معارضته، و شاعت نسبة هذا القول إلى المعتزلة بعامة"(1). و الخطابي رد على هذا الوجه مستدلا بقوله تعالى ﴿ قُل لَئن اجْتَمَعَت الإِنْسُ و الجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْله و لَوْ كَانَ بَعْضُهُم لبَعْض ظَهيرا ﴾

(الإسراءَ 88)، فيقول الخطابي " فأشار إلى أمر فيه التكلف و الاجتهاد، و سبيله للتأهب و الاحتشاد، و المعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها "(2). إلا أن الخطابي مع هذا يصفه بالقرب(3) رغم ما يبدو من ضعفه و بطلانه لعدة أمور أبرزها: (4)

أ/ الآية التي استدل بها الخطابي و قال إنها تشهد بخلافة و أنها أشارت إلى أمر طريقة التكلف و الاجتهاد، فلا يمكن بعد ذلك أن يوصف بالقرب.

ب/ الاجماع منعقد قبل النظام على إسناد الإعجاز إلى القرآن الكريم لا إلى الله سبحانه و تعالى.

ج/ إذا أضيف الإعجاز إلى الله عز و جل فهذا يعني أن منع المعارضة بانقضاء زمن التحدي، و هذا بين الفساد إذا اجتمعت الأمة على ان القرآن معجزة حتى يرث الله الأرض و من عليها.

1. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: الإعجاز البياني للقرآن، ص 72.
2. الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص 22

3. المصدر نفسه ص 22.
4. عمر محمد عمر باحاذاق: أسلوب القرآن الكريم بين الهداية و الإعجاز البياني، دار المأمون للتراث، ط1، 1994، ص (320-321).

د/ أن المشركين لو أحسوا صرفا عن فصاحتهم لأبانوا عن ذلك و أعربوا و هذا لم يحدث منهم، بل إن الله تعالى يقول عنهم ﴿ وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَاتنَا قَالُوا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين ﴾ (الأنفال 31). إلى غير ذلك من الأمور التي تبطل هذا القول.

و يعَد المتأخرون ممن ألف في هذا الميدان، أن أول من نادى بالصرفة و بالغ القول فيها، حتى عرفت به، هو أبو إسحاق النظام، و كان نداؤه هذا هو خط بداية للقول في القرآن، و مناقشته بين العلماء.

ثم تتبعه بالقول فيها تلميذه الجاحظ، في كتابه " نظم القرآن " إلا أنه خالف من اكتفى بالقول بالصرفة في الإعجاز، فأشار إلى وجه جديد و هو: إعجاز القرآن ببلاغته التي تفوق بلاغات البشر.

ثانياً:

قولهم أن إعجازه إنما هو فيما تضمنه من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان ثم تحدث تماما كما أنبأ عنها القرآن الكريم، و يشير الإمام الباقلاني إلى أن هذا الوجوه التي قالت بها الأشاعرة في الإعجاز:

و هو الإعجاز الغيبي، و ينقسم إلى الإعجاز الغيبي في الماضي، الإعجاز الغيبي في الحاضر، الإعجاز الغيبي في المستقبل.(و قد سبق ذكره في الفصل الأول)

و لقد أود الإمام الخطابي – رحمه الله – هذا الوجه في رسالته، ردا على من قال بأنه وجه شامل للقرآن، و ذلك لأن المعجزة القرآنية هي ما يستمر إعجازها في كل زمان و مكان و هو لا

يوجد في هذا الوجه.و هو بهذا لا يرتضيه وجها للإعجاز بشكل عام لأنه ليس مطردا في جميع القرآن، و ذلك شرط عنده إذ يقول:

" ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، و قد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه، و ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة 22) من غير تعيين، فدَلَّ عَلَى أَن المعنى غير ما ذهبوا إليه"(1).

ثالثاً:

إزالة الشبهات و الاعتراضات على إعجاز القرآن و بلاغته، و عجز الكفار عن معارضته، و حل إشكالات تُوجَّه إلى ألفاظ القرآن و معانيه، و بيانه و فصاحته. و قولهم أيضا بأن" القرآن معجز بتحديه للعرب الفصحاء، و هو أن يأتوا بمثله و لو بسورة ثم و لو بآية، فعجزوا عن ذلك، وهو وجه حسن كما قال عنه الخطابي"(2).

رابعاً:

الكلام عن معارضات القرآن التي قيل إنها صدرت عن بعض الكفار مثل مسيلمة، حيث كان يورد الكلام، ثم يبين سخافته و تدنيه أمام بيان القرآن.

و كذلك القول بالإعجاز البلاغي، و إليه ذهب أكثر العلماء من أهل النظر(3). و لقد فصل الإمام الخطابي القول في هذا الوجه، و أبان علته و أظهر سره.

و قد أشار الإمام الباقلاني إلى وجه آخر و هو قولهم: " إن الإعجاز القرآني إنما هو بقيمه و مثله

و أحكامه، ووجه استحالة أن يأتي مثلها من بشر أمي في قوم أميين، في زمان و مكان هيهات أن يشارفنا ذلك الأفق القرآني العالي"(4).

1. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ، ص 23-24
2. المصدر نفسه ص 22
3. ينظر المصدر نفسه: ص64-65
4. المرجع نفسه: ص21-26

خامساً:

قرر حقيقة رائعة غفل عنها الآخرون، و هي إعجاز القرآن بتأثيره في النفوس، و سيطرته على القلوب، و تحويل الأعداء عند سماعهم القرآن إلى جنود أوفياء.

و هو ما ذكره الإمام الخطابي في آخر رسالته بقوله: " قلت في إعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، ذلك صنيعه في القلوب و تأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما و لا منثورا، إذا قرأ السمع خلص له القلب من اللذة و الحلاوة في الحال، و من الرعوة و المهابة في الأخرى ما يخلص منه إليه تيتبشر به النفوس و تنشرح له الصدور(1).

و قد أتى بنماذج لتأثير القرآن في النفوس من بينها ما وقع لعمر بن الخطاب حين سمع أخته و هي تتلو سورة " طه " فلم يلبث أن آمن إذ أسره جمال القرآن، و خضع لسلطان تأثيره، و مثل ما وقع لمبعوث قريش عتبة بن ربيعة إلى الرسول (صلى الله عيه و سلم) لما قرأ عليه من سورة " فصلت "

و يرى الدكتور عبد الكريم الخطيب ان هذا الوجه هو المعجزة القائمة في القرن أبدا، يدركها العالم

و الجاهل، و العربي و الأعجمي، أما الوجوه الأخرى فلا يدركها كل أحد، و لا تظهر لكل ناظر(2).

1. أبو بكر محمد الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ص 70.
2. عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين، ص 193.

نماذج من أمثلته في الإعجاز البلاغي:

إن المتتبع لمواضع علم البلاغة في رسالة الإمام الخطابي يرى بوضح جلي أن الأمام – رحمه الله – أراد بيان الإعجاز من حيث البلاغة أو الإعجاز البياني دون غيره من الوجوه في هذه الرسالة، لذلك فقد " أتى بتقسيم جديد للكلام، و أبن فصوله و مراتبه ثم أوضح سر هذا الإعجاز و عمود هذه البلاغة

و هو عدم إحاطتهم بمعاني كل الألفاظ، ثم رد كل الاعتراضات و الشبه التي دارت حول هذا الوجه، و كأن الرسالة منصبة في هذا الموضوع دون غيره، لذا سنأخذ بعضا من مواضيع بلاغية في هذه الرسالة، نماذج لبيان وجه الإعجاز عنه".(1)

و منها: ما استدل به على إعجاز القرآن بالبلاغة فأظهر علة هذا الوجه فقال: " و العلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة و مراتبها في نسبة البيان متفاوتة، و درجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل، و منها الفصيح السهل، و منها الجائز الطلق الرسل،

فيذكر أن القسم الأول: هو أعلى طبقات الكلام و أرفعه، و القسم الثاني: أوسطه و أقصده، و القسم الثالث: أدناه و أقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل هذه الأقسام حصة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة و العذوبة ثم قال – رحمه الله – أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبد المعنى الذي يكون منه فساد الكلام و إما سقوط البلاغة"(2).

---

1. أحمد سيد محمد عمار: نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم– دار الفكر المعاصر – بيروت، لبنان– دار الفكر، دمشق سوريا، ط1–1988– ص130.
2. الخطابي:بيان إعجاز القرآن ،ص(23–26)

فإن هذا التقسيم البديع الجميل للكلام قد لا نجده عند علماء هذا الفن في عصره إلا نادرا.

و من ذلك أيضا، أنه ذكر في الرد على من قال أن القرآن قلما نجد فيه الغريب من الألفاظ بل فيه من الألفاظ الواضحة الكثير، فقال: " إنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس، و الأجلاف من جفاة العرب الذي يذهبون مذاهب العنجهية "(1)، و لا يعرفون تقطيع الكلام و تنزيله و التخيير له، و ليس ذلك معدودا في النوع الأفضل من أنواعه، و إنما المختار في النمط الأقصد الذي جاء به القرآن و هو الذي جمع البلاغة و الفخامة إلى العذوبة و السهولة.

و ذكر الأمام الخطابي أيضا أن من الألفاظ الغريبة ما هو بشع شنع فقال: و قد يعد من ألفاظ الغريب من نعوت الطويل نحو ستين لفظة، أكثرها بشع نشع منها: العشنق(2)، و العشنط(3)،

و العنطنط(4)، و الشوقب(5)، إلى غيرها مما ذكر، فاصطلح أهل البلاغة على نبذها و ترك استعمالها في مرسل الكلام، ثم ذكر أن البلاغة لا تعبأ بالغرابة و لا تعمل بها شيئا"(6).

و ذكر في موضع أخر أن الاستعارة قد تكون في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة و استدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ يس 37، فقال: " السلخ ها هنا هو أبلغ من الخروج، لو قال نُخرج منه النهار و إن كان هو الحقيقة لم يكن أبلغ – لأن السلخ بمعنى إخراج الشيء

عن موضعه فكأن الليل هو أصل النهار، و كذلك يفهم منه أن سلخ النهار من الليل معناه عدم بقاء الظلام بعد خروج استخدام السلخ أبلغ و الله أعلم.

---

1 . العنجهي: بالضم، المتكبر و قيل البهاء الجهل، و قيل الحمق و الكبر و العظمة، ينظر: القاموس المحيط:4/.288

2. العشنقة: الطول، والعشنق: الطويل الجسم. ينظر: لسان العرب:10/.252

3. العشنط: هو الطويل من الرجال. المصدر نفسه:7/.351

4. العنطنط: طويل العنق و حسنه و قيل: هو الطول عامة. المصدر نفسه: 7/.356

5. الشوقب: الطويل من الرجال و النعام و الإبل و حافر شوقب واسع عن كراع. المصدر نفسه: 506/1.

6. الخطابي:بيان إعجاز القرآن، ص 433.

ثم ضرب على ذلك مثلا أخر، بقوله تعالى ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر 94)، فقال بأن الصدع هو أبلغ من قوله فاعمل بما تؤمر، و إن كان هو الحقيقة، و الصدع مستعار و إنما يكون ذلك في الزجاجة، و نحوه من خلق الأرض(1)، و معناه المبالغة فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس و القلوب تأثير الصدع في الزجاج و نحوه.

و من ذلك ما ذكره من أن الإيجاز في موضعه و حذف ما يستغنى عنه الكلام نوع من انواع البلاغة منها قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ به الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ به الْموتَىٰ﴾(الرعد 31)، و المعنى و لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به

الموتى لكان هذا القرآن، فقال: " إنما جاز حذف الجواب في هذه الآية و حسن لأن المذكور منه يدل على المحذوف، و المسكوت عنه جوابه(2) و لأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به(3).

فهذا هو بمثابة ذكر إجمالي لما تعرضه الإمام الخطابي في رسالته الإعجاز البلاغي.

1. ينظر لسان العرب معنى لفظ صدع: 194/8. ذكر القول نفسه.
2. الخطابي:بيان إعجاز القرآن: ص 64.
3. ينظر:أبي المعالي صدر الدين القونوي: إعجاز البيان في تأويل أم القرآن ، تحقيق أحمد عطا، مطبعة دار التأليف مصر ص72.

المبحث الثالث: القيمة العلمية لرسالة الخطابي:

يعد الإمام الخطابي من أعلام الفقه الإسلامي، و له مكانته الكبيرة بين علماء الشافعية خاصة، و سائر اهل العلم عامة، بل يعتبر من الأئمة المجتهدين، و يكفي فيه قول الإمام بن كثير في البداية و النهاية، أحد المشاهير الأعيان و الفقهاء المجتهدين المكثرين:

" كان الخطابي – رحمه الله تعالى – عالما أديبا زاهدا ورعا، حسن التدريس و التأليف، إماما في اللغة و الفقه و الحديث، ثقة مثبتة من أوعية العلم، حجة صدوقا من كبار أئمة الشافعية، رحل في طلب العلم إلى العراق فنبغ ببغداد و البصرة و الحجاز و جال خراسان و خرج إلى ما وراء النهر.

المميزات و المآخذ:

الرسالة تمثل رأي أهل الحديث في الإعجاز في القرن الرابع الهجري، و تضم أقوالا مختلفة قيلت في القرآن، و قد صنفها صاحبها تصنيفا محكما دل على خبرته بالبلاغة العربية في حقيقتها، و يعتبر صاحبها من أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن الإعجاز بحثا علميا منظما.

فللرسالة قيمة علمية بالغة، فهي رسالة نفيسة نادرة في بابها، و قد اشتملت على توجيهات علمية و فوائد نادرة تكشف عن كثير من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، و قد أوضح الدكتور برهان الدين محمد الداغستاني قيمة الرسالة العلمية في مميزاتها التالي ذكرها:(1)

1) جزالة ألفاظه، و جزالة كلامه، وإيجازه، و امتلاكه الروح الادبية الجياشة.

2) نلاحظ قوته في علم البلاغة، و التكلم فيها بإسهاب و إطلاق، مما يعضد به الموضوع و يقويه و يسنده و يرشده.

3) يستشهد كثيرا بالآيات القرآنية، بل إنه في بعض المواطن يجمع كثيرا من الآيات ذات الموضوع الواحد، و هذا ما يسمى بالتفسير الموضوعي.

1. برهان الدين محمد الداغستاني: أبو سليمان الخطابي– مجلة الرسالة– عدد 98.

4) تمكنه و قوته في علم اللغة، و النحو، و الصرف، و علمه الغزير بأساليب القرآن، و يتبين هذا من ذكر الأمثلة، و توضيحها، و بيان وجه الإستشهاد منها.

5) يستشهد بالقرآن على الأمور اللغوية و النحوية، و هذا هو الصحيح، و اللغة تقاس على القرآن و ليس العكس.

6) تحليله لبعض المعارضات الشعرية.

7) قدرته على الرد، و علو كعبه فيها، حتى ان المرء لا يقرأ كلامه إلا و هو مقتنع به أشد الإقناع.

8) امتلاكه شخصية علمية و أراء شخصية.

9) استشهاده بالأشعار، و بأقوال أرباب البلاغة.

10) الترتيب الواضح في كتاباته.

11) ينقل كثيرا عن العلماء كالفراء، و القتبي و غيرهما.

12) مدح الصحابة كعمر بن الخطاب و ابن عباس و هذه عقيدة أهل السنة و الجماعة.

13) الاستشهاد بالقراءات، و الاحتجاج بها على صحة اللغة.

14) استعماله الجناس كثيرا و استخدامه أسلوب مخاطبة الغائب كقوله " يا صاحب الفيل ... " و غيره.

15) ختمه الكتاب بخاتمة طيبة ذات صلة بالموضوع.

المآخذ:

مع هذه القيمة العلمية الوافرة للرسالة، إلا أنها لا تخلو من بعض المآخذ و هي كالتالي.

1) لم يذكر مقدمة للرسالة، و إنما نجده بدأ مباشرة في صلب الموضوع.

2) عدم نسبته لكثير من الأقوال، نجده كثيرا ما يقول: قال الآخرون، زعم الآخرون، قال بعض العلماء، قال الشاعر، كما في قول الشاعر، إلى غير ذلك دون أن ينسب و يذكر القائل.

3) يوجد في بعض الإستطرادات، و في المقابل يوجد بعض المختصرات.

4) استشهاده و ذكره لبعض الأحاديث الضعيفة.

5) يوجد في رسالته بعض التكرار، فمثلا ذكر ما يقوم به الكلام، ثم كرر ذلك بعدها بصفحات.

6) استدل بالشعر ثم بالحديث و الأولى بالعكس.

7) إقراره بوجود الاستعارة في القرآن أو المجاز، و كما هو معلوم أن كثيرا من الأئمة أنكروا وجود المجاز في القرآن: كابن تيمية، و ابن القيم و غيرهم.

8) عدم الترتيب في بعض المواطن: مثال ذلك: أنه بدأ بتفصيل مسألة الكاف في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتكَ بالْحَق وَ إنَّ فَرِيقًا منَ الْمُؤْمنينَ لَكَارِهُون ﴾ (الأنفال5) ثم ذكر مسألة الكاف في قوله تعالى ﴿كمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسمين ﴾(الحجر 90) ثم رجع للكلام على الكاف في قوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ منَ بَيْتكَ بالْحَق وَ إنَّ فَرِيقًا منَ الْمُؤْمنينَ لَكَارِهُون ﴾ (الأنفال 5) و هنا اختصر و لم يفصل في ذكر أوجه الكاف.

9) عدم ذكره لجميع الجوانب في مسألة الصرفة.

10) عدم توضيحه الامر في مسألة زيادة الباء، و لو بين أن الزيادة زيادة إعرابية، لكنها لها معنى التوكيد، أو غير ذلك، فلا زيادة في القرآن.(1)

1. أنظر: محمد بن حامد العبادي: تقرير عن رسالتي الإمامين الخطابي و الجرجاني في إعجاز القرآن – ملتقى أهل التفسير.vb. tafsir.net

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد أن هذا كان بالآيات البينات، و الصلاة على نبينا محمد المؤيد بالمعجزات، و على آله و صحبه و من تبعه بإحسان إلى يوم الدين و بعد، فقد تبين مما قدم أن القرآن الكريم كلام رب العالمين، واضح البيان، ساطع البرهان، محروسا من الزيادة و النقصان، معجز بألفاظه و معانيه، ادرك ذلك كل من سمع آياته و تدبر كلماته و تبين من النظر في كلام أهل العلم ما يلي:

1 – أن دلائل إعجاز القرآن بدأت منذ تنزل القرآن.

2 – أن النظر في إعجاز القرآن داخل في تدبر القرآن المأمور به.

3 – أن القول بوجه من وجوه الإعجاز لا يعد من القول على الله بغير علم، و يمكن قبوله إذا لم يكن ناتجا عن الرأي و الهوى.

4 – أن أوجه الإعجاز متعددة و لا يمكن الجزم بوجود و رد ما عداه و يمكن القول أنه معجز من أوجه متعددة.

5 – تضمن القرآن الإعجاز البياني البلاغي، و التشريعي و العلمي، و التأثيري و الغيبي و غيرها من الوجوه.

6 – صدق قول القائل: " إن من إعجاز القرآن ألا يقف إعجازه عند حد " بل كلما جاء علما أقر بالأوجه التي وقف عليها، و أضاف إليها.

7 – تعد دراسات الإعجاز من أهم ما أنجز على الساحة الأدبية و بالتالي ساهمت في إثراء البحث النقدي و الأدبي و اللغوي.

يعد الخطابي أسبق المسلمين إلى البحث عن الإعجاز بحثا علميا منظم و الذي يرى أن:

1 – لا يعد الإعجاز بالصرفة وجها من وجوه الإعجاز الذي يبقى لكل زمان و مكان و لا ينتهي فعله في نفوس الناس.

2 – أن ما ورد من أخبار غيبية في القرآن تسمى إعجازا و لكنها ليست الوجه الشامل الباقي في كل زمان و مكان.

3 – أن نظرية الإعجاز بالنظم أو البلاغة إنما باللفظ و المعنى معا، أي أنه جمع بين أفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني.

4 – نظرية الإعجاز بالنظم تفرَّد بها القرآن و هي التي أعجزت الكثيرين عن معارضته، كما أن الوجه الشامل للقرآن الباقي في كل زمان و مكان.

5 – تضمن القرآن الكريم أصح الألفاظ التي تؤدي المعنى المناسب بحيث لو أبدل غيرها مكانها لذهب رونقها.

6 – إن فهم الألفاظ و صعوبة الإحاطة بمعانيها هي التي تهيب بسببها كثير من السلف الولوج في مثل هذا الباب او ما هو أكبر منه و هو التفسير.

7 – أبان الإمام لبعض النصوص القرآنية و أوضح معاني ألفاظها فكان أروع ما جاء في هذه الرسالة.

8 – هناك وجه آخر في الإعجاز شامل للقرآن باق في كل زمان و مكان ألا و هو صنيع القرآن بالقلوب و تأثيره في النفوس و هو ما ذهب إليه الإمام في آخر رسالته.

و من هنا، فإن سليمان الخطابي كان رائدا في تحليل فكرة الإعجاز بأدلة لغوية جمالية، فتجاوز أمر الدفاع عن عروبة القرآن إلى تقرير و إثبات ظاهرة الإعجاز في النص القرآني بتجلياتها الجمالية و مناحيها البلاغية كما كشف عنها النظم القرآني، فعالج الخطابي قضية الإعجاز و كأنها من قضايا علم الجمال، أساسها النص اللغوي القرآني في مستوياته التعبيرية و قدراته الإيحائية و شحناته النفسية.

و أقول ما حصل في هذا البحث من حق و صواب فبتوفيق من الله و الحمد له، و ما وقع فيه من خطأ أو زلل فمني، و أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا السداد و الصواب و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا.

قائمة المعاجم

1. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الفكر 1979.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ج1.
3. ياقوت الحموي: معجم الأدب و إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

قائمة المصادر و المراجع

1. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ج4،ط3، 1407.
2. أبو المعالي صدر الدين القونوي: إعجاز البيان في تأويل أم القرآن، تحقيق: أحمد عطا، مطبعة دار التأليف – مصر
3. أبو بكر محمد الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن: تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر– ط5، 1981.
4. أبو هلال العسكري: صناعتين، تحقيق علي محمد بجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة القاهرة، 1981.
5. أبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.
6. أحمد سيد محمد عمار: نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان – دار الفكر– دمشق سوريا ط1 – 1988.
7. أحمد سيد محمد عمار: نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، و دار الفكر دمشق – سوريا – ط1 – 1998.
8. أحمد مختار عمر: قاموس القرآن الكريم، لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ط2، 1998.
9. أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في غعجاز القرآن الكريم و السنة النبوية، دار ابن الجوزي القاهرة – ط1 – 2005.
10. أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات للنشر الكويت 1973.
11. بدوي طبانة: أبو هلال العسكري و مقاييسه البلاغية و النقدية، دار الثقافة، ط3.
12. بدوي طبانة: علم البيان، دار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، 1967.
13. الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون دار الجليل، بيروت ج2.

14. جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للناشرون –ط1–2008– ج2.
15. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت.
16. حسين نصار: القسم في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية ط1–2011.
17. حمادي صمو: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية، 1981.
18. حنفي محمد شرف: إعجاز قرآني بين النظرية و التطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، اللجنة العامة للقرآن و السنة،1970.
19. حورية عبيب:أساليب الحقيقة و المجاز في القرآن الكريم (سورة الكهف نموذجا) دار طليطلة للنشر و التوزيع، ط2، 2012.
20. الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول إسلام دار المعارف بمصر– ط3، 1976.
21. الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان عدنان داودي – دار القلم – مجلد 1– ط4–2009.
22. الرماني و الخطابي و الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول إسلام، دار المعارف بمصر، ط3.
23. سعد الدين السيد صالح: المعجزة و الإعجاز في القرآن الكريم، دار المعارف ط 2– 1993.
24. سيد الجمبلي: الإعجاز العلمي في القرآن، دار الوسام للطباعة و النشر– بيروت لبنان –ط2– 1992.
25. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الحجازي بالقاهرة ج2.
26. شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف مصر – ط11– (دس)

27. صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية قطر، 2007.
28. صلاح عبد الفتاح خالدي: إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني – دار عمار عمان – ط1– 2000.
29. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البغة العربية – دار عالم الكتب– ط1– 1985.
30. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار المعرفة بيروت (ط)، 1978.
31. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد شاكر أبو فهر – مكتبة الخانجي، مطبعة المدني.
32. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، صفح أصله الشيخ: محمد عبده و الشيخ محمد محمود الشنقيطي – دار الكتب العلمية – ط1 بيروت 1988.
33. عبد الكريم الخ طيب: الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية و معاييرها – دار الفكر العربي –ط 1 – مصر 1974.
34. عبد المتعال الصعيدي: البلاغة العالية – علم المعاني – (دت) القاهرة.
35. عدنان محمد زرزور:بين مفهوم المعجزة و إعجاز القرآن نظرات نقدية، مكتبة المهتدين الإسلامية.
36. علي الجمبلاطي– أبو الفتوح التونسي – الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية و التربية الدينية – ط2– دار النهضة مصر القاهرة.
37. علي جميل: أثر القرآن على اللغة العربية.
38. علي مهدي زيتون: الإعجاز القرآني و آلية التفكير النقدي عند العرب و بحوث أخرى، دار الفارابي – بيروت لبنان – ط1– 2011.
39. علي مهدي زيتون: الإعجاز القرآني و آلية التفكير عند العرب و بحوث أخرى، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1 – 2011.

40. عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم: دراسة نظرية الإعجاز البياني في الآيات المحكمات – دار المعارف –ط1– 2003.
41. عمر محمد عمر باحاذق: أسلوب القرآن الكريم بين الهداية و الإعجاز البياني، دار المأمون للتراث، ط1، 1994.
42. فضل حسين عباس: إعجاز القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة.
43. قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس – لبنان ط1– 2003.
44. مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر دمشق.
45. محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي، دراسة تطبيقية لتراث أهل العلم، مكتبة الوهبة، ط 2، 1979.
46. محمد تحريشي: النقد و الإعجاز، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004.
47. محمد خلف الله أحمد محمد زغلول إسلام: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني – دار المعارف بمصر – ط3.
48. محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم سلسلة الدراسات القرآنية – المساهم – ، ط1، 2007.
49. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز و جل – مطبعة قرابي دمشق –ط2– 1970.
50. محمد سلام زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مكتبة الشباب، ط1.
51. محمد عبد الله وراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن– دار القلم الكويت (دس– ط)
52. محمد علي الصابوني: البيان في علوم القرآن، دار الشهاب.
53. محمد كريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالية، ط1، 1426.

54. محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، أخبار اليوم، إدارة الكتب و المكتبات.
55. محمد محمد ابو شبهة: المدخل لدراسة القرآن الكريم – دار اللواء للنشر و التوزيع – ط3–1987.
56. محمد هشام حرير: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا و تطبيقيا – دار الشروق للنشر و التوزيع – ط1– 2006.
57. محمود محمد شاعر أبو فهد: مدخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني و دار المدني بجدة.
58. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه، منشورات دار المعارف، مصر، ط2، 1968.
59. مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن – دار الكلم الطيب، مجلد 1–ط2، 1998.
60. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية – تاريخ آداب العرب – دار الكتاب العربي.
61. مصطفى عبد الرحمان ابراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكتبة الطباعة، 1998.
62. مصطفى مسلم: مباحث في علوم القرآن – دار المسلم للنشر و التوزيع – الرياض– ط2– 1996.
63. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن – مؤسسة الرسالة ط15– 1985.
64. مهدي صالح السامرائي: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ط 1 المكتب الإسلامي دمشق، 1977.
65. نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان– ط2–1980.
66. وليد مراد: نظرية النظم و قيمتها العالية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، 1983، دار الفكر.

67. يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، تحقيق عيد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت، 2002، ط1.

قائمة الدوريات و المجلات

1. المجلة:

1. برهان الدين محمد الداغستاني: أبو سليمان الخطابي – مجلة الرسالة– عدد 98.

2. الرسائل:

1. عبد الله عبد الرحمن أحمد: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز أطروحة دكتوراه، إشراف: محمود توفيق محمد سعد، جامعة أم القرى السعودية، سنة 1428–1929.
2. مصطفى عمار محمد رضا: الإمام الخطابي و أثره في علوم الحديث، تحت إشراف محمود عباس عبيدات، جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1410.

3. موقع أنترنت :

1. محمد بن حامد العبادي: تقرير عن رسالتي الإمامين الخطابي و الجرجاني في إعجاز القرآن، ملتقى أهل التغيير.vb.tafsir.net

الفهرس

مقدمـــــــــــة
المدخل (مسار الدرس الإعجازي) ..... ص 02
الفصل الأول: الإعجاز القرآني مقاصده و وجوهه ..... ص 12
المبحث الأول: تعريف الإعجاز القرآني ص12
المبحث الثاني: مقاصد الإعجاز القرآني ص20
المبحث الثالث: وجوه الإعجاز القرآني (البياني، الغيبي، التأثيري، العلمي) ص22
الفصل الثاني: الدرس الإعجازي بين النقد و البلاغة ص35
المبحث الأول: أثر القرآن في الدراسات النقدية ص35
المبحث الثاني: أثر الدراسات القرآنية في تطور الدراسات البلاغية ص47
المبحث الثالث: تجليات الدرس البلاغي في كتابات الإعجاز ص60
الفصل الثالث: رسالة الخطابي و بلاغة الإعجاز ص72
المبحث الأول: مؤثرات ثقافية في حياة الخطابي ص72
المبحث الثاني: أراء الخطابي البلاغية في الإعجاز ص78
المبحث الثالث: القيمة العلمية لرسالة الخطابي ص96
خاتـــــــــــمة ص100
قائمة المعاجم ص103
قائمة المصادر و المراجع ص105
قائمة الدوريات و المجلات ص111
الفهـــــــــــرس ص109